تجارة الحوض الأدنى لنهر الدنيبر بين الخزر والروس منذ النصف الثاني من القرن التاسع الميلادي إلى ستينيات القرن العاشر الميلادي

د. خالد عبد البديع رضوان
مدرس تاريخ العصورالوسطى
كلية الآداب– جامعة سوهاج

مُلخص البحث :

كان نهر الدنيبر أحد الشرايين الرئيسة لتبادل التجارة بين السهوب الشمالية وسواحل البحر الأسود جنوبًا. وقد سعى الروس منذ تأسيسهم إمارة في مدينة كييف في منتصف القرن التاسع الميلادي إلى بسط السيطرة على هذا النهر واحتكار تجارته ، لاسيما تجارة الفِراء والعبيد.

الأمر الذي لم يقبله الخزر الذين كانت لهم السيادة على الحوض الأدنى لنهر الدنيبر قبل ظهور الروس، ولذلك دخلوا في تنافس وصراع معهم، داما حتى ستينيات القرن العاشر الميلادي.

****

The Dnieper was a main trade route between the northern steppe and the Black Sea coasts to the south. Since their founding emirate in the city of Kiev in the middle of the ninth century AD, The Russians sought to extend control of the Dnieper and monopolize its trad , especially the trade of fur and slaves.

the Khazars did not accepte that , because they had sovereignty over the lower basin of the Dnieper before the emergence of the Russians, for that they entered into competition and conflict with the Russians until the sixties of the tenth century AD.

نهر الدنيبر بين الخزر الروس:

سكن الأتراك الخزر المروج الشمالية من البحر الأسود، وأقاموا دولة "شبه حضارية"[١] بين القرنين السابع والعاشر الميلاديين، تطورت واتسع نفوذها، فسيطرت على مُعظم سواحل بحر قزوين (أو بحر الخزر)[٢] وأجزاء من سواحل البحر الأسود (بنطس)، وشملت الأحواض الدنيا من أنهار؛ الفولجا والدون والدنيب، مما كان له أثرًا في تطوير علاقاتها التجارية وتفاعلها مع التجمعات البشرية والقوى السياسية والعسكرية التي كان لها نفوذٌ أيضًا حول هذه الأنهار[٣].

وقد بلغ نفوذ الخزر مدينة كييف Kiev في الحوض الأوسط لنهر الدنيبر[٤]، وظلوا يجبون الضرائب من سكانها السلاف[٥]، حتى ظهر الاسكندنافيون الروس،

---

(1) Khazanov (A.), Nomades and the outside world, U. S. A**, 1994, pp. 198- 227.**

(٢) **كان يحلو لبعض الجغرافيين تسمية بحر قزوين ببحر الخزر، راجع: ابن سعيد المغربي (ت حوالي ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)، كتاب الجغرافيا، تحقيق: إسماعيل العربي، بيروت، ١٩٧٠ ، ص ١٩٦، وبحر جُرجان أو بحر طبرستان، انظر: العُمري (أحمد بن فضل الله ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، بيروت، ٢٠١٠، ج٢/ ١٨٧.**

(3) Bury (J.), A Hist. of the eastern roman empire: from the fall of Irene to the accession of Basil 1 (**802 – 867**), London, 1912, pp. 409 - 412; Beckwith (Ch.), Empires of the silk road: a history of central eurasian from the bronze age to the present, U. S. A, **2009**, pp. **117 - 118.**

(4) Bury, A Hist. of the eastern roman empire, p. **402**;

د. دنلوب، تاريخ يهود الخزر، ترجمة: د. سهيل نكار، دمشق، ١٩٩٠، ص ٢٦– ٤٥؛ و . بارتولد، تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة: د. أحمد السعيد سليمان، القاهرة، ١٩٩٦، ص ٤٠–٤٢، ٧٧– ٧٨؛ محمد عبد الشافي المغربي، مملكة الخزر اليهودية وعلاقتها بالبيزنطيين والمسلمين في العصور الوسطى، إسكندرية، د . ت، ص ٩– ١٠؛ خالد خلف عبد العزيز، السياسة الخارجية لمملكة الخزر منذ بداية القرن ٩ وحتى أوائل القرن ١١م، ماجستير، كلية الآداب – جامعة جنوب الوادي، ٢٠٠٢، ص ١– ٢.

(٥) يُرجح أن مدينة كييف تأسست في أواخر القرن التاسع م على يد السلاف الذين كانوا خاضعين للخزر:

Bury, A Hist. of the eastern, p. **403**; Szyszman (S.), les Khazars. Problems et controversies, art. pp. **174-221**, in :"R. H. R.", t. **152**, n**. 2**, **1952**, pp. **208- 210**.

وانتزعوا هذه المدينة حوالي سنة ٨٦٠ م، وقاسموا الخزر سيادتهم في الأحواض العليا لأنهار: الفولجا والدون والدنيبر(١).

اكتسب نهر الدنيبر أهمية خاصة بين الخزر والروس، فقد مدَ الخزر نفوذهم إلى حوضه الأوسط، وأرخوا ظلهم على حوضه الأدنى حيث مصاب النهر والمراكز التجارية التي يؤدي إليها، كما أن النهر نفسه كان طريقًا رئيسًا للتجار الروس، ومثَل أحد المعابر التي سلكتها مراكبهم(٢).

وقد عُرِف نهر الدنيبر أيضًا كطريق تجاري رئيس يُوصل بين سواحل البلطيق وما وراءه من عالم اسكندنافي، وبين سواحل البحر الأسود وما وراءه من المراكز التجارية الكبرى في شرقي أوربا، وصولًا إلى البحر المتوسط وحواضره الغنية، والعالم الإسلامي وأسواقه العامرة(٣).

---

(١) **اختلف الباحثون وما زالوا حول أصول الروس، ورجّح أغلبهم أن أصولهم سويدية اسكندنافية، ونزلوا بداية الأمر من منطقة بحيرة لادوجا** Ladoga **التي أبحروا منها في أنهار الفولجا وأوكا، قبل أن ينزلوا وادي نهر الدنيبر ويحكموا مدينة كييف، راجع:**
Chadwick (N.), the beginnings of Russian history: an enquiry into sources, Cambridge, **1946**, pp. **1- 3;** Boba (I.), Nomades, Northmen and Slavs: eastern europe in **9**th cent, Germany, **1967**, pp. **106 -107;** Franklin (S.) & Shepard (J.), the emergence of Rus **750- 1200,** U. S. A., **1996**, pp. **28- 31, 91, 111.**

(٢) **يجري نهر الدنيبر مع أربعة أنهار رئيسية أخرى في السهوب الشمالية الشرقية لأوربا هي: الفستولا والدنيستر غربًا، ونهرا الفولجا والدون شرقًا، وينبع الدنيبر من الأراضي الروسية شمالًا قرب مدينة سمولنسك** Smolensk**، ويدخل الأراضي الأوكرانية مارًا بمدينة كييف ويصب في البحر الأسود، راجع:=**
= Mavor (J.), An economic history of Russia, Edinburgh, **1914**, vol. **1,** pp. **10-11;** Vernadsky (G.), Kievan Russia, U. S. A, **1959**, p. 23; Matoshko (A.) and others, The fluvial archive of the middle and lower Dnieper, art. pp. **339- 355** in " N. J. G/G. M", vol. **81 (3- 4), 2002**, p. **339**.

(3) Kluchevsky (V.), A Hist. of Russia, N. Y, **1911, v. 1, p. 49;** Curta (F.), East Central Europe: the gate to Byzantium, pp. **1- 40,** in" BZ", vol**. 108(2), 2015**, p. **11**.

وصف الإمبراطور البيزنطي قسطنطين السابع رحلة التجار الروس في نهر الدنيبر بقوله: إنهم يُبحرون من مدينتهم نوفجورود Novgorod في أقصى الشمال قرب البلطيق، ويسلكون نهر الدنيبر حيث يُجَمعون مراكبهم عند مدينة كييف، ثم يواصلون الإبحار جنوبًا حتى الحوض الأدني من نهر الدنيبر، حيث يجتازون مجموعة من الشلالات الصعبة، يبلغ عددها سبعة، وهذه الشلالات تُجبر البحارة الروس على حمل مراكبهم بعد تفريغها من حمولتها، عندئذ يمكنهم أن يعاودوا الإبحار جنوبًا حتى البحر الأسود، ومنه إلى مدينة خرسون Kherson على الساحل الجنوبي الغربي من شبه جزيرة القِرم، ومنها إما جنوبًا إلى القسطنطينية، أو غربًا إلى نهر الدانوب ثم أوربا(١).

وضع بعض الباحثين سلسلة للمستوطنات الاسكندنافية (السويدية) يعود تأسيسها إلى القرن الثامن الميلادي، تبدأ من ميناء بيركا Birca على ساحل بحيرة ملار Malar في السويد وبيوركو Bjorko على خليج فنلنده، وبيرزاني Berezany قرب منبع نهر الدنيبر، وخطًا آخر يقود إلى الدنيبر أيضًا ، ينطلق من خليج فنلنده حتى نيفا Neva وبحيرة فولكوف Volkov وصولًا إلى مدينة نوفجورود، ومنها إلى الدنيبر، راجع:

Malowist (M.), the Baltic and the black sea in medieval trade, art. pp. **36 -42**, in "B. S. C.", vol. **3,** No**. 1** (**5**), Jan. **1937**, pp. **36 -37**; Zhikov (B.), Khazaria in the 9th and **10th** centuries, En. Trans. D. Manova, Leiden & Boston, **2015**, p. **148**.

(١) قسطنطين بورفيروجنيتوس، إدارة الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة: د. محمود سعيد عمران، بيروت، ١٩٨٠، ص ٦٠– ٦٤؛ وشبه جزيرة القِرم هي نتوء تضاريسي يندفع جنوبًا من السواحل الشمالية للبحر الأسود، تواجه في الجنوب مضيق البوسفور المُؤدي إلى القسطنطينية، استوطنها القوط منذ القرن الثالث الميلادي، واتخذوا من مدينة دوروس Doros عاصمة لها، وقد دخلت القِرم منذ نهاية القرن الرابع الميلادي في تبعية بيزنطة، التي أدركت أهميتها السياسية والتجارية خلال القرون التالية، على أن سيطرتها بدأت تتكمش تدريجيًا على شبه الجزيرة مع ظهور الخزر الذين استولوا على قسم كبير منها خلال القرنين السابع والثامن الميلاديين، فلم يبق لبيزنطة سوى مدينة خرسون التي تعاظمت أهميتها التجارية، حيث سيطرت على التجارة التي تقصد مصبات أنهار الدنيبر والدنيستر والدانوب، وصارت ميدانًا للتنافس بين الخزر والروس والبشناق في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين:

Bortoli (A.) & Kazanski (M.), Kherson and its region, art. in " the Economic history of Byzantium from the 7th through the **15** th centuries , ed. A. E. Laiou ,

وقد جعلت "حولية الروس الأولى"[١] الدنيبر جزءًا من طريق تجاري مُهم، أعطته اسم "طريق الورنك"، Varangian Route[٢] ذاكرة أن بدايته في الجنوب هي مدينة تسارجراد Tsargrad (القسطنطينية)، حيث الركن الشمالي الغربي من البحر الأسود (بحر الروس كما تسميه الحولية)، ويسير شمالًا مع نهر الدنيبر، ثم ينفذ إلى البر شرقًا، حتى نهر لوفات Lovat – أحد روافد الفولجا– الذي يصب في بحيرة إلمين Ilmen، ومنها يتخذ الطريق مسار نهر فولكوف Volkhov حتى يصب في البحيرة الشمالية الكبرى نييفو Nievo أو بحيرة لادوجا Ladoga، التي تُفضي إلى نهر نيفا Neva، حتى مصبه في بحر البلطيق، وقد شجع هذا الوصف البعض على تسمية ذلك المسار التجاري باسم طريق (فولكوف – الدنيبر)[٣].

---

pp. **659**– **665**; Bulan (R.), La présence byzantine en Crimée et les relations entre l'Empire byzantin, les Khazars et les peuples voisins (VIIe - Xe siècles) Univ. de Toulouse II. **2010** , pp. **2 – 7, 10.**

(1) the Russian primary chronicle : Laurintian text, En. Trans & ed. By, S. H. Cross & O. P. Sherbowitz- Wetzor, U. S. A., 1953, p. 53;

تحمل حولية الروس الأولى أيضًا اسم "أخبار السنوات الماضية" Povêst Vremennykh Let، تناولت الأحداث بين سنتي (٨٥٠– ١١١٣م)، وقد نُسبت إلى الراهب نسطور المتوفى حوالي ١١١٤م، على أن عددًا من الباحثين رجحوا أن عدة رهبان في مدينة كييف قاموا بتدوين هذه الأخبار على فترات متلاحقة، ونسطور كان واحدًا منهم، راجع:

Chronique dite de Nestor, traduit. Par, L. Leger, Paris, 1884. L`introduction, p. viii et après; R. P. C, the introduction, pp. 6- 23; Chadwick, the beginnings.., pp. 5-6; Sorlin (I.), les traités des Byzance avec la Russie aux Xe Siècle (1), pp. 313 – 360, "C. M. R. S.", vol. 2, n. 3, Juill. Sept. 1961, pp. 322- 324.

(٢) كلمة ورنك Varangians اشتُقت من لفظة فار var الاسكندنافية وتعني عضوًا في اتحاد التجار، وهم=

= جماعة الروس الذين لحقوا بالخدمة في الجيش البيزنطي منذ ستينيات القرن التاسع، وتم تشكيل فرقة حرس منهم داخل أسوار القسطنطينية، وقد ظلت فرقتهم فاعلة في الجيش البيزنطي حتى إعلانهم العصيان سنة ١٠٧٩م، فاستُبدِلت بهم بعناصر أخرى، راجع : ج. م. هسي، العالم البيزنطي، ترجمة: د. رافت عبد الحميد، القاهرة، ١٩٩٧، ص ١٢٩ (هامش ١٩)؛ ليلى عبد الجواد، الروس من خلال المصادر العربية، القاهرة، ١٩٩٠، ص٨.

(3) Tolochko (O.), Salvs and varangians in the middle Dnieper region and the origin of the Rus state, pp. **169**– **188**, in " Franks, Northmen, and

كما أورد صاحب كتاب حدود العالم (في النصف الثاني من القرن العاشر) وصفًا لنهر أسماه "نهر الروس"، ورغم أن وصفه جاء سطحيًا فإنه ينطبق على نهر الدنيبر؛ يقول " يخرج (النهر) من أرض الصقالبة ويتجه إلى المشرق حتى يصل حدود الروس، وهناك يمر بحدود أرتاب وصُلاب وكويافه (كييف) التي هي من مدن الروس ... ثم ينعرج فيتجه إلى الجنوب ... فيصب في نهر أتل"[١].

Salvs, Ed. I. Garipzanov & others, **2008**, p. **183**– **185**; Humbert (B.), la Circulation des Scandinaves dans la Rus aux IX- XI siècles, doctorat, Univ. de Paris **1, 2015**, pp. **71- 72.**

(١) **مؤلف مجهول، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تحقيق: يوسف الهادي، القاهرة ، ١٩٩٩، ص ٤٠، ١٤٠؛ وقد اختلف الجغرافيون المسلمون حول أسماء هذه الحواضر الروسية، فذكر أبو القاسم إبراهيم الإصطخري (ت بعد ٣٤٠هـ/ ٩٥١م) مدينة كييف باسم كويابة، وصلابة جعلها صلا، وأرتاب هي أرثا، انظر: مسالك الممالك، ليدن، ١٨٧٠، ص ٢٢١؛ وذكر ابن سعيد كييف باسم كوياتيه (كويافيه)، ووصفها بأنها من أكبر مدن الصقالبة، الذين قصد بهم الروس، راجع: الجغرافيا،= = ص ٢٠١؛ وأثبت أبو عبد الله محمد الإدريسي (ت ٥٦٠هـ/ ١١٦٦م) اسم (أرثا) كما هي، في حين حرّف اسم صلا، فجعلها (صلاوة)، راجع: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، القاهرة، ٢٠٠٢، ج٢/ ٩١٧؛ وكان تصحيف سراج الدين ابن الوردي (ت ٨٦١هـ/ ١٤٥٧م)، أكثر شططًا حين ذكر كييف باسم كركيانة، وصلا أطلاوة، راجع: خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تحقيق: أنور محمود زناتي، القاهرة، ٢٠٠٨، ص ١٨٠؛ وقد اجتهد عدد من الباحثين لتحديد مواقع هذه المُدن، وواجهوا صعوبة بالغة في هذا الأمر، ولكنهم خلصوا إلى أن هذه المدن باستثناء كييف لم تكن تقع على الدنيبر، انظر:**

Tikhomirov (M.), the towns of ancient Rus, Moscow, **1959**, pp. **9- 14;** Thulin (A.), the third tribe of the Rus, in" S. A.", vol. **25**, **1978**, pp. **99- 139**; Golden (P.), the Question of the Rus qaghanate, pp. **77- 97**, in" International Slavic conference", Canada, Sept. **1974**, pp. **91**, **94**;

وبصفة عامة جاءت بداية الروس على هيئة كيانات (إمارات) سياسية أقيمت في الأحواض العليا للدون والفولجا والدنيبر، أهمها كانت إمارة نوفجورود في أعلى الفولجا، ثم حازت مدينة كييف الدنيبرية منذ ستينيات القرن التاسع النفوذ والمكانة الأولى بين الروس سياسيًا واقتصاديًا، راجع: موسوعة تاريخ القفقاس والجركس، تحرير: محمد جمال صادق، دمشق، ١٩٩٦، ص ٢٦٤.

إن هذا الوصف يطابق مسير نهر الدنيبر باستثناء الإشارة عن مصبه في نهر أتل، الذي هو نهر الفولجا باعتراف العديد من الجغرافيين والرحالة[١]، فالمعروف أن الدنيبر يصب في البحر الأسود وليس الفولجا، وربما وقع صاحب كتاب حدود العالم في تصحيف أثناء نقله عن روايات سابقة، فهو لم يزر الأماكن التي وصفها[٢].

وقد استوطن ضفاف الدنيبر منذ القرن التاسع الميلادي عديدٌ من القبائل ذات الأجناس المختلطة، يجذبها النشاط التجاري في النهر، فضلًا عن الثراء العشبي الرعوي في السهوب المحيطة به، وكانت الغلبة بين هذه القبائل للسلاف الشرقيين، الذين يرجع إليهم تأسيس الحواضر الرئيسية على ضفاف الدنيبر[٣].

كان الخزر قد بسطوا نفوذهم على سُلاف الدنيبر منذ منتصف القرن التاسع الميلادي، وفرضوا عليهم جزية قبضوها في صورة عينية، وربما تركوا حاميات عسكرية لهم في المدن الكبيرة التي تقع على النهر؛ مثل كييف[٤]، كما كان الخزر حريصين على تسيد الحوض الأدنى من الدنيبر، الذي يؤدي إلى شبه جزيرة القرم وميناءها الرئيس خرسون، المواجه لمضيق البوسفور البيزنطي.

---

(١) الإصطخري، مسالك، ص ١٠؛ ابن رُسته (أحمد بن عمر ت حوالي ٣٠٠هـ/ ٩١٢م)، الأعلاق النفيسة، ليدن، ١٨٩٣، ص ١٤١؛ الجربيزي (أبو سعيد عبد الحي ت٤٤٣هـ/ ١٠٥١م)، وإن خلط بين نهر الفولجا ونهر جيحون، راجع: زين الأخبار، ترجمة: د. عفاف السيد زيدان، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ٣٩٠؛ أبو حامد عبدالرحيم الغرناطي (ت ٥٦٥هـ/ ١١٦٩م)، تحفة الألباب ونخبة الإعجاب، تحقيق: د. إسماعيل العربي، المغرب، ١٩٩٣، ص ١٣٦؛ ابن الوردي ، خريدة العجائب، ص ١٨٠.

(٢) وقع في الخلط نفسه الجغرافي ابن حوقل(أبو القاسم محمد النصيبيني ت ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م) في ثنايا وصفه لنهر الروس (الذي هو الدنيبر)، فذكره باسم نهر أتل (الفولجا)، راجع: صورة الأرض، بيروت، ١٩٩٢، ص ٣٢٧.

(٣) أهم هذه القبائل:البوليان، والدرفليان، والسفيريان، والراديمشيان، والكريفشيان، والمريان، والفياتيشيان: R. P. C., pp. **55**, **61**; ويطلق صاحب كتاب حدود العالم على شعوب الدنيبر اسم بلاد الصقالبة، ويُعمم عليهم القول بتوفر بضائع بينهم مثل العسل والنبيذ والزيبب فضلًا عن قطعان من الخنازير والأغنام، ص ١٣٩.

(٤) كان الخزر يحصلون من البوليان والسفيريان والفياتيشيان على فرو سنجاب من كل بيت، انظر: R. P. C., p. **58**.

على أن ظهور الاسكندنافيين الروس قلب موازين القُوى حول الدنيبر، وهم كانوا في بدايتهم تجارًا محاربين، فلم يهتموا بالزراعة التي تركوها لأتباعهم السلاف(١)، وصرفوا أنظارهم إلى بسط السيطرة على نهر الدنيبر حتى مصبه على البحر الأسود، لإشباع نهمهم وجشعهم للإغارة والتجارة معًا(٢).

ولذلك ما أن فرضوا سيادتهم على مدينة كييف في سنة ٨٦٠ م، حتى وجّهوا تجّارهم وبضائعهم إلى الحوض الأدني للدنيبر(٣).

ونستشف من أوراق المصادر الإسلامية أن تجارات الروس قدمت عظيم الفائدة للخزر وللبيزنطيين، فكان التجار الروس إذا أبحروا جنوبًا في الدنيبر، وبلغوا ميناء خرسون دفعوا للجمارك البيزنطية ما يصل إلى عُشر قيمة بضائعهم، ثم إذا قصدوا بحر الخزر (قزوين) شرقًا، دفعوا العُشر أيضًا لخاقان الخزر(٤).

---

(١) ذكر الجغرافي ابن رسته أن الروسي كان إذا وُلد له ولد وضع بين يديه سيفًا، وقال له: " ليس لدي مالٌ أتركه لك، ولكن هذا ميراثك، فامتشقه واكسب به حظك": الأعلاق، ص ١٤٥، وذكر المعلومة نفسها الجرديزي، ص ٣٩٤ – ٣٩٥؛ وأيضًا: شرف الزمان المروزي (ت بعد ٥١٨هـ/ ١١٢٨م)، طبائع الحيوان، مخطوطة في مكتبة جامعة كالفورنيا (رقم MS **303-1980**)، الولايات المتحدة الأمريكية، ص ٣٣.

(2) See: Makarov (N.), Rural settlements and trade network in northern Russia, AD **900 – 1250,** art. in book" Byzantine trade, **4 – 12th** centuries, ed. M. M. Mango, U. S. A, & U. K, **2009**, pp. **443 - 463**.

(3) See: Grekov (B.), the Culture of kiev rus, Moscow, p. **18** and after.

(٤) ابن خُرداذبة (أبو القاسم عبيد الله ت ٣٠٠هـ/ ٩١٢م)، المسالك والممالك ، ليدن ، ١٨٨٩، ص ١٥٤؛ ابن حوقل، صورة، ص ٣٣٦؛ وذكر أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م) أن خاقان الخزر حصل على نصف الغنيمة من حملة قام بها الروس في بحر الخزر (قزوين)، انظر: مروج الذهب ومعادن الجوهر، بيروت، ٢٠٠٥، ج١/ ١٤١ وما يليها؛ وتحدث الإصطخري عن التبادل التجاري بين الروس والخزر، لكنه لم يأت بذكر عن الضرائب، راجع: مسالك، ص ٢٢٦، وأورد المعلومة نفسها ابن الفقيه (أبو عبد الله الهمداني ت بعد ٣١٨هـ/ ٩٣٠م)، وإن أعطى الروس اسم الصقالبة، راجع: كتاب البلدان، تحقيق: يوسف الهادي، بيروت، ١٩٩٦، ص ٥٤٠ – ٥٤١؛ ويُشير قدامة بن

وكان الخزر بدورهم يصدّرون النبيذ والمنتجات الزراعية إلى الأسواق الغربية من البحر الأسود وسواحل شبه جزيرة القرم فضلًا عن الحوض الأدنى للدنيبر(١)، كما صدروا الخيول والماشية(٢)، والفخار والأدوات الخزفية(٣)، وكانت مدينة خرسون تنقل بضائعهم إلى بيزنطة خاصة الشمع، الذي كان مطلوبًا لكنائسها(٤).

وإذ حرص الخزر على تأمين الأسواق المنظمة المفتوحة، فقد أقاموا في مدنهم خانات تجارية للتجار الأجانب، فكان في عاصمتهم مدينة إيتيل خانًا للتجار المسلمين، وآخر للتجار الروس(٥)، وقد حصّل الخزر ضرائب مُجزية من التجارات

جعفر (ت ٣٣٧هـ/ ٩٤٧م) إلى برُج كان مُقامًا بإزاء القسطنطينية، يُتيح للروم تفتيش المراكب المتجهة إليها، راجع: الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق: د. محمد الزبيدي، العراق، ١٩٨١، ص ١٤٧، وربما أقيم هذا البرج جهة القِرم ومدينة خرسون.

(1) Spinei (V.), The Romanians and the turkic nomads north of the Danube delta from the tenth to the mid-thirteenth century. east central and eastern Europe in the middle ages, Leiden, **2009**, p. **47** and after; Bulan, La présence, p. **30**;

وكان المجتمع الخزري زراعيًا رعويًا بالأساس، وقد تحدث الاصطخري عن مزارع واسعة لكروم العنب في مدينة "سمندر" الخزرية، فذكر أنها حوت أربعة آلاف كرمة، انظر: مسالك ، ص ٢٢٢؛ وذكر ابن حوقل أنها شملت ٤٠ ألفًا من الكروم، ولا أظنه إلا مُبالغًا، وربما وقع في التصحيف عند نقله من الإصطخري: صورة، ص ٣٣٣؛ وأيضًا: الجرديزي،= =ص ٣٨٩؛ وذكر ابن رسته أن هذه المزارع كانت عند قوم يدعون برداس، يتبعون دولة الخزر، ولديهم وفرة في العسل والوبر وجلود حيوان الدلق، ولديهم الأبقار والجِمال: الأعلاق، ص ١٤٠– ١٤١.

(٢) مؤلف مجهول، حدود، ص ١٤٣؛ وذكر شمس الدين المقدسي (ت ٣٣٦هـ/ ٩٤٧م) أن الخزر كانت لديهم وفرة من العسل والأغنام، انظر: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، القاهرة، ١٩٩١، ص ٣٥٥؛ وأيضًا المروزي، راجع: طبائع، ص ٣٢.

(٣) Noonan (T.), The Economy of the Khazar Khaganate, p. **207- 244**, in" W. K. S. P. J. I. K. C.", ed. P. Golden & others, Brill, **2007**, p. **209**.

(٤) King (Ch.), the Black sea: A history, Oxford, **2004**, p. **70**.

(٥) Bennigsen (E.), Contribution à l'étude du commerce des fourrures russes, pp. **385**– **399**, "C. M. R. S.", vol. **19**, n°4, Octobre-Décembre **1978**, pp. **389** – **390**;

الوافدة عليهم، كما أن أسواقهم مارست تجارة الترانزيت، فكان يحدث فيها تبادل للبضائع التجارية بين العوالم الأربعة: الإسلامي، والروسي، والبيزنطي، والبلغاري[١].

ونفهم من المراسلات التي وقعت بين الطبيب اليهودي الأندلسي حسداي بن شبروط وخاقان الخزر يوسف أن بضائع خزرية مثل الأسماك والجلود وغيرها كانت تقصد أحيانًا السواحل الغربية للبحر الأسود حيث القسطنطينية وسواحل القِرم، ثم تُيمم شطر بلاد الروس شمالًا[٢].

راجع أيضًا : آرثركيستلر، القبيلة الثالثة عشر، ص ٩٤؛ وكانت إيتيل العاصمة الخزرية تقع في الحوض الأدنى لنهر الفولجا، عند تفرع مصباته في بحر قزوين، وقد وصفها جغرافيون، مثل: الاصطخري، ص ١٠، ٢٢٠ – ٢٢١؛ وابن حوقل، ص ٣٣٠؛ والمسعودي، ج١/ ١٣٨؛ والمقدسي، ص ٣٦٠ – ٣٦١؛ وأبو عبيد البكري (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)، المسالك والممالك، تحقيق: فان ليوفن، وأندري فيري، ١٩٩٢، ص ٤٤٦؛ والإدريسي، ج٢/ ٩١٩، وابن سعيد، كتاب الجغرافيا، ص ١٨٩؛ وابن الوردي، ص ٣٧، ١٨٠؛ وأيضًا: أندريه ميكيل، جغرافية دار الإسلام، ترجمة: إبراهيم خوري، دمشق، ١٩٨٥، ج٢/ ٤٤.

(1) Voir: Grousset (R.), L`empire des steppes, Paris, **1965**, p. **236**; De la Vaissière (E.), les marchands d`Asie centrale dans l`empire khazar, pp.= =**367**- **377**, " les centres proto- urbains russes entre Scandinave, Byzance, pp. **372**- **373**.

(٢) the Jew in the medieval world: A Source book, **315**– **1791**, Ed. J. R. Marcus, New York, **1999**, pp. **257**, **259**; An unknown khazar document, En. trans. & ed. by: S. Schechter, pp. **181** – **219**, in "J. Q. R.", vol. 3, n. 2, Oct. **1912**, pp. **194**, **218**;

وحسداي بن شبروط وُلِد في نهاية القرن ٣هـ/ مطلع القرن ١٠م، وتُوفي سنة ٣٦٥هـ/ ٩٧٥م، كان طبيبًا مُبرّزًا ووزيرًا في بلاط حاكم الأندلس عبد الرحمن الثالث (٣٠٠ – ٣٥٠هـ/ ٩١٢– ٩٦١م)، للتفاصيل انظر: حاييم الزعفراني، يهود الأندلس والمغرب، ترجمة: أحمد شعلان، المغرب، ٢٠٠٠، ج١/٤٦، ٦٤، ١٠٩؛ أيضًا: شعبان محمد خلف، الجهود الدبلوماسية والعلمية للوزير اليهودي حسداي بن شبروط في عصر الخلافة الأموية، دورية كان التاريخية، الكويت، عدد٣٢، يونيو– ٢٠١٦، ص ١١٠– ١١٨، وكان مُهتمًا في رسالته بالتقصي عن خبر الدولة الخزرية التي اتخذت اليهودية دينًا لها.

ويزعم بعض الباحثين أن طريقًا تجاريًا مهمًا كان خاضعًا للخزر يصل بين مراكز كانت تقع على أنهار الفولجا وأوكا والدنيبر حتى يبلغ مدينة كييف، ثم يمتد شمالًا حتى مدينة نوفجورود(١).

هذا الرأي يُعد مقبولًا على أساس توافقه مع السرديات العبرية السابقة عن لحاق التجار الخزر بأرض الروس، على أننا نظن أن سيطرة الخزر على هذا الطريق ربما كانت خلال القرن التاسع وبداية القرن العاشر الميلادي فقط، حين كانت العلاقة في طيبة بين الخزر والروس، وحين أفاد الأخيرون من السلام والاستقرار اللذين كانا سائدين في دولة الخزر طيلة القرن التاسع، حتى أنهم أرسلوا تجارهم وبضائعهم إلى شرقي البحر الأسود غير مرة بعد سماح حكام الخزر لهم بذلك مقابل ضرائب يحصّلونها منهم، وحين كان للروس خانًا تجاريًا في مدينة إيتيل عاصمة الخزر، وفي المقابل كان لليهود الخزر جالية في مدينة كييف الروسية(٢).

على أن بقية أحداث القرن العاشر شهدت تبدل العلاقة بين الطرفين إلى العداء، ولذا خسرت دولة الخزر تحكمها في هذا الطريق؛ ومن ثم فقد أهميته، وحل محله طريق نهر الدنيبر الذي كان خاضعًا لحماية الروس(٣).

ويُمكن القول أن الخزر خسروا سريعًا نفوذهم التجاري في الدنيبر والقسم الغربي من البحر الأسود لأنهم لم يُمارسوا التجارة بأنفسهم، بل استخدموا وسطاء قاموا بذلك، أهمهم كان اليهود الرادنتيين(٤)، الذين كان لهم دورًا بارزًا في المُعاملات التجارية حول أنهار الدنيبر والفولجا والبحر الأسود، وبلغ نشاطهم أقصى الشرق حتى الهند والصين، ومارسوا التجارة في مختلف البضائع خاصة العبيد(٥).

---

(١) Golden, the Question of the Rus qaghanate , p. **93**.

(٢) انظر: آرثر كيستلر، القبيلة الثالثة عشرة، ص ٩٥.

(٣) Bulan, La présence byzantine en Crimée, pp**. 30- 31.**

(٤) See the details in: Kluchevsky, A Hist. of Russia, pp. **50- 51.**

(٥) وصفهم ابن خُردانبة باسم الراذانية وقال أنهم يتحدثون جملة لغات، ويتاجرون في الغلمان والجواري والخدم

ومما ساعد على تزايد نفوذ هؤلاء التجار في نواحي شمال البحر الأسود أن الخزر تهودوا بين سنتي (٧٣٠ – ٧٤٠ م)[١]، فليس مستبعدًا أن الرادنتيين قد مُنحوا صلاحيات واسعة للتجول بحرية طيلة القرن التاسع الميلادي في أنهار الفولجا والدون والدنيبر، بل وامتَدَّ تأثيرهم إلى بلدان كثيرة في شرقي أوربا[٢].

على أننا نعتقد أن نفوذ هؤلاء التجار كممثلين للحكام الخزر تضاءل في نهر الدنيبر قرب منتصف القرن العاشر الميلادي، ولذلك أسباب:

١- رغبة الروس في السيطرة بشكل كامل على نهر الدنيبر، والانفراد بتجارته لا سيما مع القسطنطينية؛ تُبرِهن على هذا سياستهم التسلطية على شبه جزيرة القرم.

والديباج وجلود الخز والفراء والسمور والسيوف، راجع: المسالك، ص ١٥٣؛ وذكر المعلومة نفسها: ابن الفقيه، ص ٥٤٠، وللمزيد من التفاصيل عن اليهود الرادنتيين ودورهم التجاري أنظر:

Adelson (H.), Early Medieval Trade Routes, " A. H. R", V. **65**, N. 2, Jan. **1960**, pp. **271**– **287**; Pritask (O.), the Khazar kingdoms conversion to Judaism, "H. U. S.", vol. **2**, N. **3**, Sept. **1978**, pp. **261– 281.**

(١) ابن الفقيه، كتاب، ص ٥٩٣؛ المسعودي، مروج، ج١/ ١٣٨؛ يهودا بن شموئيل هليفي (ت٥٣٩هـ/ ١١٤١م)، الحجة والدليل في نصر الدين الذليل (كتاب الخزري)، ترجمة: د. ليلى إبراهيم أبو المجد، القاهرة، ٢٠١٤، ص ١٢٤ وما يليها؛ =

= the Jew in the medieval world, p. **258**; see also: Shepard (J.), the Khazars formal adoption of Judaism and Byzantium`s policy, art. in "O. S. P.", vol. **31**, Oxford, **1998**, pp. **11**– **34**; Golden, the Convrsion of the Khazars to Judaism, pp. **123- 162.**

(2) See: Lombard (M.), la route de la Meuse et les relations lointaines des pays mosans entre le VIIIe et le XIe siècle, Paris, **1953**, pp. **12- 13, 18;** Lewicki (T.), Les sources hébraïques consacrées à l'histoire de l'Europe centrale et orientale et particulièrement à celle des pays slaves de la fin du IXe jusqu'au milieu du XIIIe siècle, art. **228**– **241**, "C. M. R. S.", vol. **2,** No. **2, 1961,** p. **229– 231;** Halpern (I.), Jews and Judaism in eastern Europe, Jerusalem, **1969, p. 357– 370.**

٢- تزايد وتيرة العداء بين الروس والخزر حتى أربعينيات القرن العاشر؛ يؤكد على هذا خروج عدة حملات روسية ضد المدن الخزرية في الأحوض الدنيا من أنهار الدنيبر والدون والفولجا في أعوام: ٩٠٩، ٩١١، ٩١٣، ٩٤٠، ٩٤٣، ٩٤٤م[١].

(١) تحدثت المصادر الإسلامية عن حملات الروس في بحر قزوين، بيد أن رواياتهم جاءت مُتعارضة حول تواريخ هذه الحملات ووجهاتها، فاكتفى المسعودي بالقول إنها جرت بعد سنة ٣٠٠هـ، وبافتراض أنها وقعت سنة ٣٠١هـ فإنها توافق سنتي (٩١٢/ ٩١٣م) راجع: المروج، ج١/ ١٤١ – ١٤؛ وأشار أيضًا إلى السنة نفسها أحد الكتاب الفُرس في القرن ١١م، انظر:

A Hist. of Sharvan and Darband, Camb., **1958**, pp. **26, 42;** =

= وتحدث ابن اسفنديار (محمد بن حسن ت بعد ٦١٣هـ/ ١٢١٦م) عن حملات قام بها الروس قبل ذلك، تقريبًا بين سنتي ٢٩٦ – ٢٩٨هـ (٩٠٩ – ٩١١م)، ولم يُشر إلى حملة سنة ٣٠١هـ/ (٩١٢-٩١٣م)، راجع: تاريخ طبرستان، ترجمة: د. أحمد محمد نادي، القاهرة ، ٢٠٠٢، ص ٢٧٠؛ والواضح أن ابن اسفنديار اكتفى بالإشارة إلى الحملات التي وقعت على سواحل بلده طبرستان، ولم يهتم بالحملة اللاحقة، التي هاجمت سواحل إسلامية أخرى، وهذه لفتت انتباه المسعودي، فأفرد الحديث عنها متجاهلًا ما سبقها من حملات على طبرستان التي ربما كانت غارات محدودة؛ وجدير بالذكر أن موقف الخزر كان سلبيًا من هذه الغارات، فلم يُحركوا ساكنًا، وربما وافقت لديهم هوىً، لإن علاقتهم بالعالم الإسلامي كانت سيئة منذ سنة ٩٠١م، راجع: آرثر كيستلر، القبيلة، ص ١١٤ – ١١٦؛ بارتولد، تاريخ الترك، ص ٧٩؛ وأما حملة سنة ٣٣٢هـ / ٩٤٤م فقد استهدف الروس مدينة بردعة الإسلامية في بحر قزوين، انظر: أحمد ابن مسكويه (ت ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م)، تجارب الأمم وتعاقب الهِمم، تحقيق: سيد كسروي، بيروت، ٢٠٠٢، ج٥/ ٢٦٥ – ٢٦٨؛ وقد أشار المروزي إلى هذه الهجمة وإن لم يُحددلها تاريخًا: طبائع، ص ٣٣؛ أيضًا: كيستلر، ص ١١٦– ١١٧؛ على أن "يوسف" خاقان الخزر آنذاك كان ساخطًا على الروس بسبب توسعاتهم في القِرم، ولكنه عجز عن منعهم من نزول بحر قزوين، وهذا الواقع يُخالف ما جاء على لسانه في رسالته إلى الطبيب الأندلسي حسداي، من أنه ما انفك يُقاتل الروس، وأنه يحرس مصب الفولجا لمنع مراكبهم من بلوغ قزوين ومهاجمة العالم الإسلامي، لقد كان كلامه هذا إذن أجوفٌ وبلا طائل:

the Jew in the medieval world, **259**; An unknown khazar document, **219**.

٣- رغبة الروس في احتكار تجارة العبيد في نهر الدنيبر، ورفضهم أن يُزاحمهم إياها التجار اليهود الذين كانوا وسطاء للخزر، وكان من نتيجة ذلك أن اتجه الروس إلى السيطرة على الحوض الأدنى لنهر الدنيبر، ونزعه من كليهما: الخزر والبيزنطيين.

النفوذ البيزنطي في الحوض الأدنى لنهر الدنيبر بين الخزر والروس:

رأينا كيف مثّلت شبه جزيرة القرم محطة تجارية رئيسية للبضائع الواردة من الدنيبر، وكيف وفرّت مدنها وموانيها أسواقًا حيوية تلتقي فيها البضائع القادمة من شعوب السهوب الآسيوية، والبضائع الإسلامية، التي يذهب شطرًا منها إلى أسواق بيزنطة، ولذلك تنافس الخزر والروس والبيزنطيون للسيطرة سياسيًا وتجاريًا على موانئ القِرم وأسواقها، التي كانت خرسون أهمها على الإطلاق(١).

لقد مثّلت خرسون لبيزنطة منذ القرن السادس الميلادي مركزًا إداريًا وعسكريًا وتجاريًا، وبوابة شمالية نحو السهوب الواقعة شمالي البحر الأسود، ومنفذًا تجاريًا أيضًا لنهر الدنيبر يؤدي إلى بلاد الروس، ويتصل بتجارتهم(٢)، بالإضافة إلى أن بيزنطة كانت تُمارس نفوذها على القِرم من خلال سيطرتها على خرسون؛ ولذلك وضعتها في حيز ضمن نظامها الثغري في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين(٣).

---

(1) See details in : Avramea (A.), Land and Sea communications, fourth– fifteenth centuries, art. pp. 57 – 90, in "the Econ. Hist. of Byzantium from the 7th through the 15th cent., "D. O. R. L. C.", pp. 57- 58.

(٢) See: Bortoli & Kazanski, Kherson and its region, pp. 659- 665.

(٣) **أمر الإمبراطور ثيوفيل (٨٢٩ – ٨٤٢م) بإنشاء ثغر في القِرم سنة ٨٤١م، كان اسمه في البداية كليماتا** Klimata**، وجعل له قائدًا برتبة أرخون، ثم صار اسمه فيما بعد ثغر خرسون، وبات قائده يحمل رتبة استراتيجوس، وكان ينزل فيه موظفٌ بيزنطيٌ جمركيٌ يحمل لقب كوميركياريوس** Kommerkiarios:

سعت بيزنطة إلى توطيد نفوذها في القِرم من خلال التعاون المشترك مع الخزر طيلة القرن التاسع الميلادي، فساعدتهم في بناء حصن ساركل Sarkel في الحوض الأدنى من نهر الدون حوالي سنة ٨٣٨ م[١]؛ لمنع اقتراب الأجناس المعادية القادمة من المروج الشمالية[٢]، وأباحت لهم حتى مطلع القرن العاشر إدارة ميناء بسبور Posporus، والمدينة التجارية تموتوراكان Tmutorokan في مضيق كيرتش حتى أربعينيات القرن نفسه، في حين احتفظت لنفسها بمدينة خرسون، فضلًا عن دوروس Doros عاصمة القرم نفسها[٣].

Alekseenko (M.), L'administration byzantine de Cherson et sa région d'après les sceaux (VIIIème-XIème siècle), thèse de doctorat, Univ. de Paris **5, 2005**, Ch**. 2.**

(1) See details in : Shepard (J.), Byzantine relations with the outside world in the 9th century , in book "Byzantium in the 9th century : dead or alive" ed. L. Brubaker, U. K., **1998**, pp. **167– 180;**

كانت ساركل تقع على نهر تنياس Tanias **المتفرع من نهر الدون، والقريب من الحوض الأدنى للفولجا: بورفيروجنيتوس، إدارة الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٤٨.**

(2) Theophanes continuatus, ed. I. Bekkeri, Bonne, **1838**, p. **122**;

لم توضح تتمة كتاب ثيوفانو أي الشعوب الشمالية التي كانت تُهدد الخزر والبيزنطيين: هل هم الروس أو المجيار أو اللان أو البشناق: Vasiliev (A.), the Goths in Crimea, U. S., **1936**, p. **108 – 111**.

(3) Madgearu (A.), the place of Crimea and of the kerch strait in the strategy of the middle byzantine empire (**7- 11th** centuries), in "I. M. N" **v. 5**, Roma, **2006**, pp. **202– 203;** Zhikov, Khazaria, p. **171**; Bulan, La présence byzantine, pp. **25- 26;**

كانت مدينة بسبور تقع على الساحل الشرقي للقِرم، عند مدخل مضيق كيرتش الذي يربط بين البحر الأسود وبحر أزوف، وعلى الضفة الشرقية من المضيق نفسه كانت تقع مدينة تموتوراكان، راجع: بيروفيرجنيتوس، إدارة، ص ٦٤ (هامش ٣)، ص١٥٠؛ وقد ذكر الإدريسي مدينة تموتوراكان باسم مطرخا، انظر: نزهة، ج٢/ ٩١٠، ٩١٦، على أن الباحث آلف ثولين يُصر أن

وأفادت بيزنطة في المقابل من جعل الخزر دولة حاجزة بينها وبين البشناق من ناحية[١]، وبينها وبين الروس في نهر الدنيبر من ناحية أخرى[٢]، كما أنها دخلت معهم في اهتمام مُشترك لتنمية التجارة مع شمالي أوربا، وكانت في المُقابل تنتظر منهم أن يستعملوا شكيمتهم لتأمين مرور التجارة عبر الحوض الأدنى للدنيبر نحو الشمال[٣].

كما أفاد الخزر من تقاربهم من بيزنطة؛ فصدّروا إلى أسواقها الماشية والجلود والأسماك وغِراء الأسماك[٤]، والعسل والشمع والنبيذ[٥]، واستوردوا منها الأواني الفخارية والخزفية[٦]، ويمكن القول أنهم احتكروا بيع هذه البضائع في الحوض الأدنى للدنيبر ما بقوا سادة على مدينتهم تموتوراكان.

الإدريسي يُسميها "روسيه"، ص ٩٢٩؛ وكذلك ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، ص ٢٠٣- ٢٠٤؛ انظر: Thulin, the third tribe, p. 137.

(١) يُعد البشناق (البجناك) أحد أكثر أجناس التُرك شراسة؛ استوطنوا حيزًا بين جبال الأورال ونهر الفولجا في الربع الأول من القرن التاسع الميلادي، ثم نزحوا إلى غربي السهوب التي تقع شمال البحر الأسود في الربع الأخير من القرن التاسع، وما كاد ينتصف القرن العاشر حتى جاورت مضاربهم القِرم، ولامست مباشرة الحوض الأدنى من نهر الدنيبر، ولذلك كانوا عنصرًا مهمًا لبيزنطة للحفاظ على توازن القوى شمالي القِرم، راجع: بيروفيرجنيتوس، ص ٥٣ –٥٩، ١٣٦، ١٣٨؛ المتولي تميم، البشناق والبيزنطيون: دراسة في سياسة بيزنطة الشمالية (٨٥٠ – ١١٢٢م)، رسالة ماجستير، جامعة المنصورة، ١٩٩٦، ص ٤١ وما يليها.

(٢) Chadwick, the beginnings of Russian history, p. **43.**

(٣) Bury, A Hist. of eastern roman empire, pp. **414**– **415**.

(٤) ذكر ماركو بولو أن بحر قزوين يزخر بأسماك الحفش والسلمون، التي تتوفر خاصة عند مصبات الأنهار فيه، راجع: رحلاته، ترجمة: د. عبد العزيز جاويد، ج١/ ٥٣، وهذه النوعية من الأسماك كان الخزر يُصدّرونها إلى أسواق البحر الأسود.

(٥) Bury, A Hist. of eastern roman empire, p. **404;**

ذكر الإصطخري أن الروس صدّروا إلى أسواق إيتيل عاصمة الخزر العسل والشمع والخزّ: مسالك، ص ١٥٤.

(6) Noonan (T.) , the Khazar economy, art. in "A. E. M.", vol. **9, 1995-1997,** pp. **253** – **318**;---European Russia **500**– **1050** C., art. pp. 487–

لم يُعجب الروس هذا التقارب الخزري البيزنطي؛ ما دفعهم إلى مُهاجمة بيزنطة سنة ٨٦٠م[١]، لفتح منفذ لهم إلى أدنى الدنيبر، وسعيًا وراء التجارة والمغامرة في البحر الأسود[٢].

ثم هاجموها ثانية سنة ٩٠٧م تحت قيادة زعيمهم أوليج Oleg، الذي أجبر أباطرتها على دفع جزية له[٣]، وتوقيع اتفاقية سلام معه، عندها أدرك البيزنطيون أن حلفاءهم الخزر باتوا عديمي الجدوى، وتطلعوا إلى الروس كحلفاء مستقبليين.

513, "N. C. M. H.", vol. **3**, p. **490**; Bortoli & Kazanski, Kherson and its region, pp**. 661 – 662.**

(١) تتعارض الحولية الروسية مع المصادر البيزنطية حول تاريخ هذا الهجوم، فقد وضعته الحولية الروسية في العام (١٤) من حكم الإمبراطور ميخائيل الثالث (٨٤٢ – ٨٦٧م)، أي ٨٥٦م، في حين جعلته المصادر البيزنطية سنة ٨٦٠م، للتفاصيل راجع:

R. P. C., p. **60**; John Skylitzes, A Synopsis of byzantine history (**811** – **1057**), En. trans. by, J. Wortly, Cambridge, **2010**, pp. **107- 108;** Vasiliev (A.), the Russian attack on Constantinople in **860**, Cambridge, **1946**, p.= =**150** and after; Luttwak (E.), the Grand strategy of the byzantine empire, England, **2009**, p. **154**;

فازيلييف، العرب والروم، ترجمة: محمد عبد الهادي شعيرة، د.ت، ص ٢١١- ٢١٥؛ وكانت الحولية الروسية قد أشارت إلى أن الروس استولوا على مدينة كييف سنة ٨٦٢م، أي بعد خروج حملتهم ضد بيزنطة؛ الأمر الذي لا يُعد منطقيًا؛ إذ إن تلك الحملة التي حشدوا فيها مائتي مركب لا يمكن لها أن تتم قبل سقوط مدينة كييف؛ ولذلك تشكك جون بيوري في التواريخ الواردة في الحولية الروسية، ورجّح سقوط كييف في أيدي الروس مطلع عام ٨٦٠م، قبل مهاجمتهم بيزنطة في صيف العام نفسه، هكذا تستقيم الأحداث ويُصبح ترتيبها منطقيًا، راجع:

Bury, A Hist. pp. **422- 423.**

(١) Bréhier (L.), Vie et morte de Byzance, Paris, **1969**, p. **114**.

(٣) كان الحكم البيزنطي آنذاك شِركة بين الإمبراطور ليو السادس (٨٨٦ – ٩١٢م) وأخيه ألكسندر، وقد التزم الأخوان بدفع اثنتي عشرة قطعة جريفني Grivny لكل مقاتل روسي شارك في حملة أوليج سنة ٩٠٧م ، راجع: R. P. C., p. 64 **؛ والجريفني أو جريفنا** Grivna **عملة فضية شاعت بين الروس قديمًا، كانت تُقسم إلى وحدات أصغر ٢٠ نوجاتي**

وتُعد اتفاقية سنة ٩٠٧ م بين الروس والبيزنطيين من الأهمية بمكان؛ إذ وضعت الأساس المحوري للعلاقات السياسية والتجارية بين الفريقين اللذين لم يلبثا أن وقعا اتفاقية جديدة ثانية سنة ٩١١م.

وتقودنا البنود التي سُجلت في هاتين الاتفاقيتين بين الروس والبيزنطيين إلى أن غرض الروس من هجومهم سنة ٩٠٧م كان تجاريًا اقتصاديًا، فهم سعوا إلى أن يحلوا محل الخزر كحلفاء سياسيين لبيزنطة، وكوسطاء تجاريين في الحوض الأدنى لنهر الدنيبر بينها وبين بقية شعوب السهوب الشمالية(١).

وقد شجع الروس على هذا أن بيزنطة لم تعد ترسل تجارها خارج حدودها، خاصة في القرن العاشر؛ ولذلك كان يقصدها التجار من مُختلف الأجناس(٢).

بيد أنها وضعت قواعد منظمة لأسواقها التجارية، وآلية البيع والشراء، وكميات البضائع المُباعة وأنواعها، كما وضعت لوائح للتجار الأجانب الوافدين على أسواقها، والفترات المسموح لهم بقضائها داخل أسوارها، والأماكن المسموح لهم بالإقامة فيها، والسلع التي يمكن أن يتاجروا فيها، وما يُسمح لهم بحمله معهم من البضائع في أثناء

Nogaty، أو ٦٢ كوني Kuny، أو ٥٠ ريزاني Rezany، وكانت الكونا الواحدة تُعادل في القرن الحادي عشر الميلادي قيراطًا بيزنطيًا، أي ما يساوي تقريبًا ٧١ سنت، للمزيد راجع:
Sorlin, les traités (**1**), p. **330** (n. **67**)؛

وأيضًا: طارق منصور، معاهدتا ٩٠٧، ٩١١م بين البيزنطيين والروس: اثنتان أم واحدة ؟ دراسة تحليلية، مقال ص ١١ – ٤٣، دورية المؤرخ المصري، ج. القاهرة، عدد ٢٤، يناير، ٢٠٠١، ص ١٢ (هامش ٨)، ولا يمكن تصور أن بيزنطة كان لديها هذا القدر من العملات الروسية، ولكن الراجح أنها دفعت لهم ما يُعادلها ذهبًا.

(1) Bulan, la presence Byzantine, pp**. 50- 51.**

(2) Johanek (P.), Merchants, markets and towns, N. C. M. H, 3, p. **72**.

المغادرة[١]، والحقيقة أن بيزنطة كانت تستند بقدر الإمكان على هذه اللوائح في الاتفاقيات التجارية التي أبرمتها مع الروس.

التزمت بيزنطة بالدخول في تسويات تجارية مع عدة مدن روسية أهمها: كييف، وتشيرنيجوف Černigov، وبيرياسلافل Perjaslavl، وبولوك Polok، وروستوف Rostov، وليوبيتش Ljubeč[٢].

وخصصت للتجار الروس أن يُقيموا في حي سان ماماس St. Mamas[٣]، مع إعفائهم من الضرائب التي كان يدفعها غيرهم من التجار، وتُزودهم طوال ستة أشهر

---

(١) وردت هذه القواعد في كتاب حاكم المدينة Book of the Prefect الذي يرجع تدوينه إلى بدايات القرن التاسع م، ويُنسب إلى الإمبراطور ليو السادس (٨٨٦ – ٩١٢م)، راجع:

Le livre du Préfet, dite de Léon VI le sage, ed. J. Nicole, Paris, **1893**, p. **3** et après; also: Johanek, Merchants, markets and towns, pp. **72** – **73**;

وقد ترجمه عن الإنجليزية د. السيد الباز العريني باسم: ليو السادس، كتاب والي المدينة ، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة ، ١٩٥٧، مج ١٩، ج١، ص ١٧٤؛ أيضًا انظر: السيد الباز العريني، تاريخ الدولة البيزنطية (٣٢٣ – ١٠٨١م)، بيروت، ١٩٦٥، ص ٣٤٩؛ وأيضًا: وسام عبد العزيز فرج، الدولة والتجارة في العصر البيزنطي الأوسط من القرن السابع وحتى نهاية القرن الحادي عشر الميلادي ، حولية جامعة الكويت، كلية الآداب، العدد ٩، ١٩٨٨، ص ١٤، ١٧ وما يليها.

(٢) **شكلت مدن كييف، وتشيرنيجوف، وبيرياسلافل، وليوبيتش وحدات متجانسة في وسط الدنيبر، أما مدينة بولوك فكانت على نهر دفينا، في حين وقعت روستوف على نهر الفولجا، أي أنها كانت بعيدة عن الملاحة النهرية في الدنيبر، مما يُوضح أن النشاط التجاري للروس امتدَّ حول معظم الأنهار التي تقع شمالي البحر الأسود:** Sorlin, les traités (**1**), p. **346** – **347**.

(٣) **يقع حي سان ماماس في القسم الشمالي من القسطنطينية، خارج أسوارها على خليج القرن الذهبي، وقد خُصص فترة طويلة لإقامة التجار الروس، راجع: طارق منصور، الروس والمجتمع الدولي (٩٤٥ – ١٠٥٤م)، القاهرة، ٢٠٠١، ص ١٧ – ١٨ (هامش ٢٩)، وأيضًا: طارق منصور، معاهدتا ٩٠٧، ٩١١م بين البيزنطيين والروس، ص ١٣ (هامش ١٢).**

باللحوم والنبيذ والأسماك والفواكه، وحينما يرجعون إلى بلادهم، يمدّهم الإمبراطور بالطعام والأشرعة والحبال، وغيرها من المعدات اللازمة للإبحار، بيد أن الروس القادمين بغير تجارة يُحرمون من هذه الامتيازات.

وحددت بيزنطة للروس بوابة بعينها لدخول القسطنطينية، وأن لا يزيد عددهم عن خمسين رجلًا يدخلون بلا سلاح؛ فيصحبهم أحد الضباط الإمبراطوريين إلى مكان إقامتهم بالعاصمة، كما حصلت على ضمان من الزعيم الروسي أوليج بعدم مهاجمة أملاك تابعة لها(١).

وقد أكد البيزنطيون على هذه البنود في اتفاقية سنة ٩١١م مع الروس الذين حصلوا على ضمانات تجارية أكبر؛ مثل: إذا جنح مركب تجاري بيزنطي في شواطئ تابعة للروس، فإن هؤلاء يمكنهم بيع بضائعه ورد ثمنها فيما بعد إلى البيزنطيين، كما حددوا حالات الالتزام الجنائي والضريبي بين الطرفين(٢).

ويمكن القول باطمئنان إن الروس لم يرغبوا في مُعاداة بيزنطة، بل رغبوا في الاتَّجار معها، واكتساب صداقتها، لكن سياسات بيزنطة المتأرجحة بين جيرانها كانت تستثير الروس، وتصيبهم أحيانًا بالحنق، فيهاجمونها.

مما سبق نخلص إلى أن محور العلاقات الأولى بين الروس وبيزنطة كان تجاريًا، وهي على أية حال لا تخشى جانبهم خشيتها البشناق، فالروس كانوا يسكنون الأطراف القصية الشمالية من أنهار الدنيبر والفولجا والدون، ويطمعون في إن يصلوا إلى تجارة

---

(١) See: R. P. C., pp. **64 – 65**; voir : Sorlin, les traités ..(**1**), pp**. 329 – 331**;
راجع أيضًا : طارق منصور، معاهدتا ٩٠٧، ٩١١م، ص ١١ – ١٤.

(2) See: R. P. C., pp. **65 – 69;** voir : Sorlin, les traités ..(1), pp**. 333 – 336;**
طارق منصور، معاهدتا ٩٠٧، ٩١١م بين البيزنطيين والروس، ص ١٨ – ٢١.

المياه الدافئة في البحر الأسود جنوبًا[١]، وما كانوا ليسمحوا للبشناق بالتوغل في الحوض الأدنى للدنيبر، وأن يمثلوا عائقًا أمام مراكبهم التجارية السابحة نحو البحر الأسود[٢]؛ ولذلك وجدت بيزنطة فيهم حليفًا قويًا بديلًا عن الخزر.

لم تلبث بيزنطة أن انقلبت ضد الخز، وسمحت للروس بتدمير مدينتهم تموتورا كان الواقعة على مضيق كيرتش[٣]، وأظنها صنعت هذا لأسباب ومنها:

١- تحول الخزر إلى اليهودية رغم محاولات بيزنطة الجادة لنشر المسيحية بينهم دون جدوى[٤].

---

(1) Vernadsky, Kievan Russia, p. 23 and after.

(2) Madgearu, the place of Crimea, p. **199**.

ذكر بورفيروجنيتوس أن البشناق (البجناكية) كانوا العائق الرئيسي أمام مراكب الروس في الحوض الأدني للدنيبر، فكانوا يتصيدون بضائعهم خلال عبورها من شلالات الدنيبر، التي لم يكن يجتازها التجار إلا في حراسة مقاتلين أشداء، انظر: إدارة الإمبراطورية، ص ٦٠- ٦٢.

(**3**) Golden (P.), the Peoples and Cultures of the Eurasian Steppes, **2011**, pp. **99- 100.**

(4) See: Brook (K.), the Jews of Khazaria, U. S. A, **2006**, pp**. 37- 38;**

وقد أشارت وثيقة كمبردج إلى اضطهاد الإمبراطور رومانوس ليكابنوس (٩١٩ – ٩٤٤م) لليهود في العالم البيزنطي، راجع: An unknown khazar document, p. 217 **؛ وذكر المسعودي أن الإمبراطور رومانوس أجبر سنة ٣٣٢هـ/ ٩٤٣م شطرًا من يهود الروم على اعتناق المسيحية؛ مما أدى إلى فِرار عدد كبير منهم إلى دولة الخزر، راجع: المروج ، ج١/ ١٣٨؛ وقد نقل البكري عنه المعلومة نفسها: مسالك، ج١/ ٢٦٣؛ ويُفسر هذا الاضطهاد سبب العداء الذي كان غالبًا على العلاقة بين الخزر والبيزنطيين في تلك الفترة، وقد أفرد المؤرخ دنلوب لهذه القضية صفحات من مؤلفه المهم: تاريخ يهود الخزر، ص ١٣٥- ١٣٦؛ ووثيقة كمبردج – المُشار إليها في صدر الإحالة- عُثِر عليها في القاهرة في نهاية القرن ١٩ م ضمن وثائق الجنيزة، ثم أُودعت في كمبردج، وأظهرها إلى العلن البروفيسور سلومون شيشتر فترجمها من العبرية إلى الإنجليزية، والوثيقة مُكونة من مائة سطر تعرض أولها وآخرها للتلف، ولذلك كاتبها غير معروف، ولكن الراجح أنه خزري الأصل، وقد عاصر الخاقان يوسف، الذي راسل الطبيب**

٢- دخول الخزر في علاقات حسنة مع العباسيين أعداء بيزنطة خلال القرن العاشر الميلادي(١).

٣- فقدان الخزر قوتهم خلال النصف الأول من القرن العاشر الميلادي، وضياع قيمتهم كدولة حاجزة لمنع خطر شعوب السهوب الشمالية المهددة لبيزنطة، وكان البشناق من أخطر هذه الشعوب وأقبحها(٢).

مهما يكن من أمر فإن العلاقة قد ساءت في هذه الأثناء بين الخزر والروس من ناحية وبينهم وبين البيزنطيين من ناحية أخرى(٣)، فتُطل علينا إحدى الروايات العبرية الخزرية بخبر حملة قادها زعيم روسي يُدعى إيلجو Helgu ضد إقليم السفيريان Sewerians الذي كان تابعًا للخزر، زمن ملكهم يوسف، وحسب هذه الرواية وقع ذلك الهجوم بتدبير واتّفاق مع الإمبراطور البيزنطي رومانوس (ليكابنوس)، وانتهى إلى الفشل بسبب قيام القائد الخزري بيشاه Pesah بهجوم مضاد، ألحق خلاله الهزيمة بالروس، وهاجم مدينة شورشو Shorshu البيزنطية(٤).

ولم يُحدد النص العبري تاريخًا لهذه الحادثة، مما جعلها تقع تحت ظلال الشك والغموض؛ الأمر الذي شحذ همم الباحثين لإزالة اللبس حولها، خاصة أن المصادر البيزنطية لم تُشر إلى هذه الحادثة، كما أن الحولية الروسية صمتت عنها.

اليهودي الأندلسي حسداي، ولذلك يظن البعض أن الوثيقة كانت خطابًا موجهًا لهذا الطبيب ، راجع: آرثر كيستلر، القبيلة الثالثة عشر، ص ٧٨ – ٧٩.

(١) راجع التفاصيل: سيف شاهين المريخي، العلاقات التجارية بين البلدان الإسلامية وبلاد الخزر في القرنين (٣ -٤ هـ) (٩ – ١٠م)، ص ٧٧ – ١١٦، مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، مج ٣٢ (يناير – مارس ٢٠٠٤)، ص ٨٣ وما يليها.

(٢) Grousset, L`empire des steppe, p. **237**.

(٣) Shepard, Closer encounters with the byzantine world, pp. **25- 28.**

(٤) An unknown khazar document, pp. **194- 195, 217- 218.**

وقد خلُص كل من دوجلاس دنلوب D. M. Dunlop ونورا شادويك N. K. Chadwick وألكسندر مادجيرو A. Madgearu إلى أن الإقليم الذي تعرض للهجوم إنما يُقصد به مدينة تموتوراكان التجارية، التي كانت تابعة للخزر على مضيق كيرتش، وأن مدينة شورشو التي هاجمها الخزر ردًا على العدوان الروسي- البيزنطي، هي نفسها مدينة خرسون التي كانت تابعة لبيزنطة آنذاك(١).

على أن ثمة نقاطًا تتعلق بتلك القضية ما زال يلف بها الغموض وتُثير الحيرة؛ منها: تاريخ وقوع هذا الهجوم، واسم قائده.

أما زمن هذه الحادثة فلكي نقف عليه يجب أن نُحدد أولًا وقت كتابة الوثيقة العبرية التي ورد فيها خبر الحادثة، وما يترتب عليه من تأطير العلاقة بين الروس والخزر في هذه الفترة.

رجّح كل من رينيه جروسيه R. Grousset(٢) وفيليب لوزاتو P. Luzzatto(٣) ودوجلاس دنلوب(٤) وآرثر كستلر A. Koestler(٥) وفلاديمير بتروخين V. Petrukhin(٦) وفاردا أزادوف F. Asadov(٧) أن الوثيقة تُعد واحدة من الرسائل التي التي تبادلت بين الملك الخزري يوسف والطبيب الأندلسي حسداي خلال خمسينيات القرن العاشر، ولا يجد الباحث ما يدعو إلى إنكار هذه الفرضية.

---

(١)دنلوب، تاريخ يهود الخزر، ص ٢٢٢، ٢٢٧، أيضًا راجع؛

Chadwick, the beginnings …, p. 45; Madgearu, the place **…, p. 199.**

(٢) Grousset, L`empire des steppe, p. **236**.

(٣) Luzzatto (P.), Notice sur Hasdai ibn – Schaprout, Paris**, 1902, 14- 17**.

(٤)دنلوب، تاريخ اليهود الخزر، ص ١٧٦ – ١٩٩.

(٥)آرثر كيستلر، القبيلة الثالثة عشر، ص ٦٧.

(٦) Petrukhin(V.), Khazaria and Rus', in"W. K. S. P. J. I. K. C.", p. **257**.

(٧) Asadov (F.), Jurgan in the external relations and the history of the khazar khazar khagante **(7- 10th** centuries), pp. **23- 38,** in" Central Eurasia in the middle ages", Studies in honour of Peter Golden, ed. I. Zimonyi & O. Karaty, Germany, **2016**, p. **23**.

وقد ورد في الوثيقة اسم يوسف حاكمًا على الخزر، الذي تولى قبيل أربعينيات القرن العاشر، كما ورد اسم الإمبراطور البيزنطي رومانوس (٩١٩ – ٩٤٤م)، في الوقت نفسه تُعلن الوثيقة أن الروس – بعد فشلهم في انتزاع مدينة تموتوراكان– أجبرهم الخزر على مُهاجمة القسطنطينية، وهو الهجوم الذي وقع سنة ٩٤١م، مع العلم أن الروس سوف يرجعون وينتزعون تموتوراكان حوالي سنة ٩٤٣م، حسبما اتفق عليه عدد من الباحثين مثل: ألكسندر فازيلييف A. Vasiliev وإيرين سورلانI. Sorlin وآلف ثولين A. Thulin وألكسندر مادجيرو A. Madgearu وقنسطنطين زوكرمان C. Zuckerman[١]. إذن لو رتبنا الأحداث بشكل منطقي يجيء هجوم الروس الأول على هذه المدينة سنة٩٤٠م.

على أني لا أجد زعم الرواية العبرية من أن الخزر بعد أن ألحقوا الهزيمة بالروس سنة ٩٤٠م أجبروهم على مُهاجمة القسطنطينية– إلا مجرد شطحة ومحض خيال، ومن العجب أن بعض الباحثين أخذ بهذا الزعم[٢]، فليس هناك من سبب يدعو الروس إلى قبول أوامر الحاكم الخزري بمهاجمة بيزنطة بحجة هزيمتهم أمامه، لأنهم يُقيمون في عافية ومنعة في حواضرهم في أقاصي أنهار الفولجا والدون والدنيبر، ولا أظن سببًا يدفعهم لمهاجمة بيزنطة إلا سياستها وعلاقتها بالشعوب المجاورة في حوض الدنيبر الأدنى: كالبشناق والمجيار[٣].

---

(١)استشهد هؤلاء ببنود الاتفاقية الروسية البيزنطية سنة ٩٤٤م التي تُوحي بأن الروس باتوا جيرانًا لبيزنطة في القرم بدلًا من الخزر ، انظر:

Vasiliev, the Goths, pp. **119** – **122**; Sorlin (I.), les traités des Byzance avec la Russie (2), art. pp. **447 – 475,** "C. M. R. S.", vol. 2, n**. 4, 1961**, pp**. 461- 462**; Thulin, third tribe, p. **111**; Madgearu, the byzantine expansion in the Black Sea area, in" R. M. H.", **2008**, p. 26; - the place, p**. 199– 200**; Zuckerman (C.), the End of byzantine rule in north- eastern Pontus , in:" M.I. A. E.", v. **22, 2017**, p. **316**.

(٢) Madgearu, the place …, p. **199**; --- the byzantine expansion, p. 26.

(٣) ترجع جذور المجيار أو المجريون إلى قبائل الفينو – أوجريان Finno – Ugrian**، استوطنوا في القرون القرون**

ومع تحديد زمن هجوم الروس على تموتوراكان سنة ٩٤٠م، يبقى أمر تحديد اسم القائد الروسي لهذا الهجوم، والذي بات الآن أكثر سهولة، بعد أن انجلى شطرٌ من غموض القضية.

لقد افترض البعض أن إيلجو هذا هو أوليج نفسه الذي أبرم معاهدة سلام مع بيزنطة سنة ٩١١م[١]، ولكن هذا الطرح يُعد غريبًا وجامحًا؛ لأن حولية الروس وضعت أوليج تحت دائرة الضوء التاريخي في الفترة بين سنوات ٨٧٠– ٨٧٩م، عندما أصبح وصيًا على إيجور ابن روريك أول زعماء الروس الاسكندنافيين في نوفجورود، كما أن الحولية أشارت إلى وفاته سنة ٩١٢م[٢]، وبما أن المصادر البيزنطية لم تسعفنا بخبر حول هذه الحوادث، فليس أمامنا من بُدٍ غير تصديق الحولية الروسية، وعليه نستبعد اسم أوليج من هذا الصراع الخزري الروسي.

لا يبقى أمامنا إذن سوى إيجور الذي حكم بعد أوليج في الفترة (٩١٣– ٩٤٥م)[٣]، والذي وقعت في عهده هذه الأحداث قيد التحليل، وقد أشار مؤرخ مُعاصر لأربعينيات القرن العاشر هو ليودبراند أوف كريمونا؛ إلى أن حاكم الروس خلال هذه الفترة كان اسمه

الميلادية الأولى منطقة تقع بين نهري الدون وكومان، ثم دخلوا في طاعة الخزر في الفترة من منتصف القرن ٧ إلى نهاية القرن ٩ م، وقد وطَن الخزر المجيار في إقليم ليبديا Lebedia الواقع بين نهري الدون والدنيير بعد سنة ٨٣٠م، وكان ذلك للتصدي لخطر الروس المتصاعد في أعلى الدنيير، ولم يلبث أن دخل المجيار في علاقات صداقة مع البيزنطيين خلال القرن العاشر ، قبل أن يتحركوا في رحلتهم الأخيرة عبر جبال الكربات، ويؤسسوا دولة لهم في هنغاريا (المجر) على نهر الدانوب، انظر: كيستلر، القبيلة ، ص ٩٧ – ١٠٢؛

See also, Bury, A Hist. of eastern, pp. 423 – 425, 492; Rona-tas (A.), The Khazars and the Magyars, in" W. K. S. P. J. I. K. C.", p. **274- 276.**

(1) Lewicki, Les sources hebraiques, p. **235**; Madgearu, the place .., p. **199**; Ostrowski (D.), Systems of succession in Rus` pp. **29- 58**, in "R.", vol. **11, 2012, p. 31.**

(2) R. P. C., pp. **60**, **69, 71.**

(3) R. P. C., pp. **71, 79**.

"إيجور"، وأنه هو الذي شن هجومًا على أملاك القسطنطينية سنة ٩٤١م[١]، وبذلك يكون إيجور هو الذي أشعل فتيل الصراع مع الخزر في القِرم سنة ٩٤٠م.

وهذا لا يمنع أن قائد الهجوم الروسي ضد الخزر كان يحمل اسم أوليج، الذي لا تربطه صلة بالوصي المتوفي، سوى أنه حمل اسمًا كان شائعًا بين الروس[٢].

وأما سبب هجوم الروس فكان بلا ريب لفرض نفوذهم على مضيق كيرتش الحيوي الذي يُعد رابطًا تجاريًا بين البحرين الأسود وأزوف[٣]، والذي من شأنه أن يؤمن سيطرتهم على الحوض الأدنى للدنيبر، ومن شأنه أيضًا توفير السلامة لتجارتهم، وهذا أيضًا ما دعاهم فيما بعد إلى مهاجمة بيزنطة، التي رابتهم سياستها التوافقية مع البشناق[٤].

---

(1) Works of Liudprand of Cremona,Tr. F. Wright, London, **1930**, **185**;
وُلِد ليودبراند في مدينة بافيا شمالي إيطاليا سنة ٩٢٠م لأسرة لمبارِدة ثرية ومثقفة، درس الأدب اللاتيني، ولحق في شبابه بالسلك الكنسي، وصار شماسًا في بافيا، وأسقفًا في كريمونا، ولحق ببلاط ملك إيطاليا برنجار الذي أوفده في سفارة إلى القسطنطينية ٩٤٩م، ثم لحق ببلاط العاهل الألماني أوتو الأول الذي جعله سفيره للقسطنطينية ٩٦٨م، وقد دون ليودبراند مؤلفه في ستينيات القرن العاشر، وضمّنه معلومات مُهمة عن أسواق بيزنطة وعلاقاتها الخارجية في القرن العاشر، انظر: lpid, introduction, pp. **1**– **9**.

(2) Petrukhin, Khazaria and Rus', p. **259**.

(3) Madgearu, the place …, p. 194; Bulan, La présence byzantine, p. **25** .

(4) Madgearu (A.), the Pecheneges in the byzantine army, in" the steppe lands and the world beyond them", Studies in honor of V. Spinei, ed. F. Curta, **2013, p. 207;**

ذكرت الحولية الروسية أن الروس كانوا في حروب مع البشناق قبل سنة ٩٤١م، راجع: R. P. C, p. 71

ويبدو أن الروس ألزموا البشناق بالطاعة، فهم لا يمكنهم عبور أدنى الدنيبر – حيث البشناق – لمهاجمة بيزنطة دون إخضاعهم، راجع:

Golden (P.), An introduction to the history of the turkic peoples, Germany, **1992, pp. 265- 267.**

وكان تقارب بيزنطة مع البشناق المجاورين للحوض الأدنى للدنيبر، جزءًا من سياستها الرامية إلى ضرب أعدائها بعضهم ببعض؛ ولذلك أفادت منهم تحجيم خطر الروس من ناحية، وللتحكم في سهوب شمال القرِم من ناحية أخرى(١).

وقد صار البشناق شركاء تجاريين للخزر والروس والبزنطيين في الحوض الأدنى من نهر الدنيبر، فالروس كانوا لا يبلغون أسواق بيزنطة إلا إذا سالمهم البشناق، وكانوا يشترون منهم الماشية والخيول والأغنام(٢)، البضائع نفسها التي باعها البشناق للخزر فضلًا عن الجلود والشمع(٣).

وفي الوقت نفسه تاجر البشناق مع الخرسونيين، وتعهدوا بحماية هذا المركز الإمبراطوري، وتلقوا في المقابل هدايا إمبراطورية قيَمة؛ مثل: الأقمشة الأرجوانية والأوشحة والثياب الحريرية الموشاة بالذهب فضلًا عن التوابل والجلود(٤).

ويتضح أن بيزنطة كانت تُقدَر فعلًا وجود البشناق في جوارها؛ حيث إنها كانت تُرسل إليهم بضائع حظرتها على غيرهم؛ كالأقمشة الأرجوانية والثياب الحريرية(٥).

---

(١) Beckwith, Empires.., p. **164**; Golden, Studies .., pp**. 78 – 79;** Howard-Johnston (J.), Byzantine Sources for Khazar History, art. pp. **163-193**, in" W. K. S. P. J. I. K. C.", pp**. 180- 181.**

(٢) لم يتحكم البشناق في مرور التجارة عبر الحوض الأدنى من نهر الدنيبر فحسب، بل ومرورها بريًا بين القِرم وأدنى نهري الدون والفولجا؛ ولذلك أعاق وجودهم أحيانًا مرور التجارة الروسية في البحر الأسود نحو الشرق: Zhivkov, Khazaria in the 9th and 10th centuries, p. **151**.

(٣) Noonan, the Economy of Khazar Khaganate, p. **213**.

(٤) انظر: بورفيروجنيتوس، إدارة، ص ٥٤ – ٥٧؛ أيضًا : King, the Black sea, pp. **69– 70**.

(٥) انظر: وسام عبد العزيز، الدولة والتجارة، ص ٣٣ –٣٤؛ ولدينا قصة ظريفة تؤكد هذا الأمر، وقعت أحداثها سنة ٩٦٨م

حينما كان ليودبراند أسقف كريمونا في زيارة للقسطنطينية، وتعرض أثناء عودته لتفتيش دقيق من قِبل الموظفين الإمبراطوريين، وانتزعوا منه طِبقًا للقوانين البيزنطية بعض الأقمشة الأرجوانية والثياب الحريرية، وحينما اعترض على تصرفهم معه؛ أخبروه أنه لا يُمكن أن يسمحوا للبرابرة بارتداء هذه الاشياء التي لا تليق

وهذا مما أزعج الروس فقاموا بمهاجمة أملاكٍ بيزنطية تقع على سواحل البحر الأسود سنة ٩٤١م، ولا أدري ما الذي جعل عددًا كبيرًا من الباحثين يزعمون أن الروس هاجموا القسطنطينية نفسها، رُغم أن الحولية الروسية وثمة مصادر معاصرة لم تُشر إلى ذلك(١).

إلا بالأباطرة الرومان الحقيقيين، الذين هم بطبيعة الحال سادة القسطنطينية، راجع: the Works of Liudprand, pp. 267 – 269; على أننا يجب أن لا نبالغ كثيرًا في الاعتقاد بأن بيزنطة راقبت تلك البضائع خشية وقوعها في يد البرابرة، بدليل أنها أغدقت هذه الأشياء الثمينة على البشناق، ويمكن القول أن حادثة إذلال ليودبراند كان لها أسباب سياسية؛ فهو كان ممثلًا لأوتو الذي أعلن نفسه إمبراطورًا رومانيًا (٩٦٢ – ٩٧٣م)، وأتبع ذلك بتدخله في إيطاليا، ومهاجمته أملاك تابعة لبيزنطة؛ مما أثار سُخط الإمبراطور نقفور فوقاس، إذ عدَه متبربرًا مُغتصبًا للمنصب الإمبراطوري، فأعرض عن صداقته، وأبى قبول عرضًا للمصاهرة كان اقترحه أوتو، وأرسل به مبعوثه ليودبراند: العريني، تاريخ، ص ٤٩٨ – ٥٠١؛ أيضًا:
Brubaker (J.), the End followed in no long time: Byzantine diplomacy and the decline in relations with the west (962- 1204), Master these, Univ. Of Texas, 2009, p. 42- 43.

(١) كل ما ذكرته الحولية أن إيجور قرر مهاجمة البيزنطيين، وأن بلغار الدانوب أرسلوا يحذرونهم من أن الروس سوف يُهاجمون مدينة تسارجراد (القسطنطينية) بأسطول تعداده ألف مركب"، وواصلت سردها بأن الروس عبروا البحر (الأسود)، وهاجموا مُدنًا واقعة على سواحله الجنوبية؛ مثل: بيثينيا Bithynia، وبفلاجونيا Paphlagonia، وبونتوس Pontus، وهرقلية Heraclea "، راجع: R. P. C., pp. 71 – 72.؛ وروى ليودبراند الكريموني – المعاصر لهذه الأحداث– أن الروس كانوا في طريقهم إلى القسطنطينية، ولكنه لم يذكر أنهم هاجموها، بل قال إن المراكب البيزنطية لاحقتهم في البحر وأحرقت سفنهم، انظر: Liudprand of Cremona, pp. 185 – 186؛ ووافق هذه الرواية جون سكيلتزيس John Skylitzes, pp. 221– 222، والأمر نفسه نفهمه من إشارة يحيى الأنطاكي (ت٤٥٨هـ/ ١٠٦٦م)، أنظر: تاريخ الأنطاكي، تحقيق: عمر التدمري، طرابلس– لبنان، ١٩٩٠، ص ٤١؛ على أن الباحثين إيرين سورلان وألكسندر مادجيرو أيدا فكرة هجوم الروس على بيزنطة، واستشهدت سورلان برواياتين من مصادر يونانية تؤكدان زعمها؛ واحدة وردت في كتاب تتمة حولية أمارتالوس Chronique du continuateur d'Hamartalos، وجاء فيها أن الروس الذين نجوا من الهلاك

وأرجح الظن أن الروس مروا بمراكبهم أمام مضيق البوسفور حيث تقع القسطنطينية، ولكنهم لم يُهاجموها، إنما واصلوا إبحارهم شرقًا مُساحلين الشاطئ الجنوبي للبحر الأسود، وهنا أزعم أن حملتهم كان غرضها تأمين تجارتهم في القسم الغربي من البحر الأسود من ناحية، والضغط على القسطنطينية لفض تحالفها مع البشناق من ناحية أخرى.

وقد خطط الزعيم الروسي إيجور لغارة مُشابهة مطلع سنة ٩٤٤م، وذلك كان نتيجة منطقية بعد خضوع مدينة تموتوراكان ومضيق كيرتش لسيطرة الروس، فهم لا يمكنهم تأمين تجارتهم في الحوض الأدنى لنهر الدنيبر إلا بعد التخلص من دسائس القسطنطينية، على أن غارته هذه لم تتم لأن بيزنطة دفعت أموالًا طائلة له، لإثنائه عن عزمه، كما أنها استخدمت حلفاءها البشناق للضغط عليه؛ ولذلك وافق على عقد السلام معها قبل نهاية سنة ٩٤٤م[١].

جاءت هذه المُعاهدة لصالح البيزنطيين بامتياز[٢]، فحاولوا أن يُحجموا النفوذ الروسي في الحوض الأدنى من نهر الدنيبر؛ أي حول شبه جزيرة القرم، فأوردوا في

أمام أسوار القسطنطينية لحقوا بالأناضول، وخربوا مدنها، والرواية الثانية جاءت في كتاب سيرة القديس بازيل الصغير la Vie de saint Basile le Jeune**، ومفادها أن الروس الذين لم يمكنهم دخول القسطنطينية لحقوا بالأناضول، على أن هذه الروايات لا تُشير صراحة إلى مُهاجمة الروس لبيزنطة،**
Sorlin, les traités (**1**), p. **320**,(note **30**); Madgearu, the place, p. **199**;
ولهذا كان الباحث كيستلر حذرًا في تناول هذه الحادثة، فاكتفى بالإشارة إلى أن الروس هاجموا البيزنطيين، وهذا لا يعني أنهم هاجموا القسطنطينية نفسها، بل هاجموا مدنًا تابعة لها، انظر: القبيلة الثالثة عشر، ص ١١٠؛ أما الدكتور السيد الباز العريني فاشار إلى أن الروس هاجموا القسطنطينية، ولكنه لم يذكر صراحة أنهم بلغوا أسوارها: تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٤٠٦.

(1) R. P. C., pp. 72– 73.

(2) Ostrogorsky(G.), Hist. de l`état byzantin, traduit Par: F. J. Gouillard, Paris, **1969**, p. **303**;
راجع أيضًا: هسي، العالم البيزنطي، ص ١٢٩.

المادة السابعة من الاتفاقية أن الأمير الروسي لا يحق له شن حرب داخل القِرم، ولا أن يسعى إلى مد نفوذه فيها.

وفي المادة التاسعة توجب على الروس أن لا يتعرضوا بشرٍ للخرسونيين إذا مارسوا الصيد أو نشاطًا تجاريًا في الدنيبر، فوق ذلك ليس للروس الحق في قضاء فصل الشتاء في مصبه، سواء في ميناء بيلوبيرج Belobereg أو في ميناء سان إليوتيريوس St. Eleutherius، بل عند حلول الخريف يرجعون فورًا إلى بلادهم(١).

وفي المادة العاشرة فُرِض شرطٌ على الروس؛ هو أن يُسارعوا إلى الدفاع عن خرسون حال تعرضها لهجوم من البلغار السود(٢)، والحقيقة التي يمكن أن نخلص إليها من هذه البنود هي أن البيزنطيين نجحوا في استعادة نفوذهم في الحوض الأدنى من نهر الدنيبر، وأما الروس فاحتفظوا بالامتيازات التي حصلوا عليها في معاهدات السلام السابقة، ويُمكن القول إن هذه الاتفاقية جاءت نتيجة للأحداث السياسية والعسكرية التي وقعت بين الخزر والروس حول الحوض الأدنى للدنيبر تحديدًا(٣).

---

(١) **ميناء سان إليوتيريوس (أو إيتيريوس) يقع على جزيرة تقع عند مصب نهر الدنيبر، كان التجار الروس يستريحون فيها خلال رحلتهم من الدنيبر إلى البحر الأسود، انظر: بورفيروجنيتوس، إدارة الإمبراطورية، ص ٦٣ ؛ أما مدينة بيلوبيرج فكانت تقع على ساحل البحر الأسود عند مصب نهر الدنيبر، انظر:**

R. P. C., p. 90 (Note 73).

(2) See: R. P. C., pp. 74 – 77; Mme Irene Sorlin a divisé le traité de 944 en 14 articles (items), voir : les traités des Byzance (2), pp. 459- 464;

والبلغار السود هم فصيل تركي استوطن في القرن ١٠م السهوب الواقعة شمال بحر آزوف والبحر الأسود، والمحصورة بين الروس غربًا والخزر شرقًا، انظر:

Bury , A Hist. of eatern…, pp. 410 – 411; Sorlin, les traités... (2), p. 462.

(٣) **أشار البعض إلى أن تلك الاتفاقية لم تكن تحالفًا بين البيزنطيين والروس ضد البلغار السود وحسب، بل أيضًا ضد الخزر، انظر:**

ولكن ما الذي يجعل الروس يُقدَمون تنازلات لبيزنطة، وقد سبق لهم أن انتصروا على الخزر، وصارت لهم السيادة على مضيق كيرتش؟!

إن الإجابة على هذه السؤال تكمن أساسًا في سياسة بيزنطة نفسها، التي اعتبرت القِرم بوابة لتأمين حدودها الشمالية؛ ومن ثم تجارتها وأسواقها؛ ولذلك دخلت في علاقات دبلوماسية وتجارية مع الشعوب المتاخمة لهذه الحدود، فتكون تارة صديقة لهذا، وتارة عدوة لهذا حسبما تقتضيه السياسة والمصلحة، وقد تمثلت سياستها هذه بوضوح خلال علاقاتها أولًا بالروس والخزر، وعلاقاتها لاحقًا بالمجيار والبشناق.

كما أن الروس في حملاتهم العسكرية خلال الحوض الأدنى لنهر الدنيبر، لم يرغبوا في احتلال أماكن جديدة أو التوسع بقدر ما رغبوا في تأمين طرقهم التجارية نحو البحر الأسود، وهذا يُعد تفسيرًا منطقيًا لموافقتهم على الشرط البيزنطي بعدم مهاجمة خرسون أو احتلال مصب نهر الدنيبر.

مهما يكن من أمر فقد تمتع التجار الروس بمعاملة خاصة في بيزنطة، وكانت لهم أفضلية عن بقية التجار الذين وفدوا إليها(١).

سيطرة الروس على تجارة الحوض الأدنى للدنيبر وتراجع الخزر:

Vernadsky, Kievan Russia, p. 36; Arrignon (J.- P.), Les relations diplomatiques entre Byzance et la Russie de 860 à 1043, "R. E. S.", vol. 55. t. 1, Sept. 1983, p. 133.

(١) رنسيمان، الحضارة البيزنطية، ص ٢٠٥؛ وسام عبد العزيز، الدولة والتجارة، ص ٤٢ – ٤٣؛ وقد كان من مصلحة بيزنطة اكتساب الروس إلى جانبها، وإدراجهم في فلكها من خلال نشر المسيحية بينهم، وتوطيد علاقاتها الدبلوماسية معهم، تلك السياسة التي تُوجت باعتناق الأميرة الروسية أولجا المسيحية، وقيامها بزيارة القسطنطينية سنة ٩٥٧م، انظر:

R. P. C., pp. 82 – 83; voir:Ostrogorsky, p. 309; Diehl, Histoir, p. 112.

انقضى النصف الأول من القرن العاشر الميلادي، والروس ما انفكوا يُجالدون الخزر لاقتلاعهم من الحوض الأدنى للدنيبر، وما يتبعه من طريق تجاري يُؤدي إلى شبه جزيرة القِرم وميناءها "خرسون" ثم مدينة القسطنطينية وأسواقها(١).

وقد حاول الخزر استعادة نفوذهم في القِرم، فهاجموها سنة ٩٦٢م؛ وكان من نتيجة ذلك أن طلب القوط سكان القِرم النجدة من الأمير الروسي سفياتسلاف (٩٤٥ – ٩٧٢م)(٢)؛ الذي استشعر الخطر من عودة الخزر إلى القِرم والحوض الأدنى للدنيبر حيث نفوذه السياسي والتجاري، فاستهدفهم بحملات جديدة انتهت إلى الاستيلاء على حصن ساركل (بيلا فيزا Bela Vezha حسب رواية الحولية الروسية) سنة ٩٦٥م(٣)، وتخريب عاصمة الخزر "إيتيل" Itil ومدينتهم التجارية المُهمة سمندر سنة ٩٦٨م(٤)؛ مما أدى إلى تقليص نفوذهم التجاري؛ ليس في البحر الأسود وحسب؛ بل أيضًا في بحر قزوين.

---

(١) See details in: Shepard (J.), Closer encounters with the byzantine world: the Rus at the Straits of Kerch, art. pp. 15 –78, in" Pre- modern Russia and its world, p. 17.

(٢) **خلص المؤرخ القدير فازلييف – معتمدًا على أوراق مصدر قديم مجهول المؤلف – إلى أن الخزر هاجموا القرم سنة ٩٦٢م، وقد عرض لرحلة إلى الشمال القصي قام بها أحد حُكام القوط في القِرم** Fragments of report about gothic toparch voyage**، لعقد تحالف مع أحد الزعماء البرابرة شمالي نهر الدانوب، الذي خلص فازلييف إلى أنه الروسي سفياتسلاف، وقد سلك هذا التوبارك نهر الدنيبر خلال رحلة العودة في شتاء عام ٩٦٣م، وعانى الأهوال من سقوط الثلوج، حيث تجمدت مياه نهر الدنيبر، مما أعاقه عن الوصول إلى القِرم أيامًا عديدة:** Vasiliev, the Goths, pp. 122 – 129.

(٣) R. P. C., pp. 81 – 82, 84; see also , Beckwith, Empires …, p. 166; Szyszman, les Khazars. Problems et controversies, p. 211.

(٤) **لم تذكر الحولية الروسية خبر تخريب مدينة سمندر الخزرية بل ذكرته المصادر الإسلامية، التي أرخت لهذا الحدث بسنة ٣٥٨هـ / ٩٦٨م، انظر: ابن حوقل، ص ٣٣٢ – ٣٣٣؛ ابن الوردي، ص ١٨٠؛ ومدينة سمندر كانت واحدة من أهم حواضر الخزر بعد عاصمتهم**

وأحسب أن المصادر قد بالغت حول نتائج هذه الحملات، حيث ذكرت أنها مثلت النهاية للكيان الخزري[١]، بل الراجح أنها كانت حملات تأديبية تأمينية؛ سعى سفياتسلاف من خلالها إلى:

١- تأمين مكاسبه السياسية والتجارية في القِرم ومضيق كيرتش والحوض الأدنى للدنيبر، والحيلولة بشكل نهائي دون عودة الخزر إلى هذه المناطق مرة أخرى[٢].

٢- حفظ سلامة الطرق التجارية التي يسلكها التجار الروس في البحر الأسود وبحر قزوين؛ والتي كانوا يذهبون من خلالها إلى بلدان الخلافة العباسية جنوبًا؛ أو إلى وسط آسيا وأقاصيها شرقًا.

٣- التخلص من العشور الذي كان يدفعه التجار الروس لحكام المُدن الخزرية المُطلّة على سواحل البحر الأسود[٣].

ويدعم هذا التفسير مراجعة أسماء الحواضر والمدن التي استهدفها الروس وكانت تابعة للخزر، بداية من "تموتوراكان" ومضيق "كيرتش" غربًا قُرب مصب الدنيبر، ومرورًا بحصن "ساركل" Sarkel (الحصن الأبيض) الذي كان يقع في مفترق بين

إيتيل، وهي تقع عند مصب نهر تيريك Terek على الساحل الغربي لبحر قزوين، وقد تحدث عنها الجغرافي العُمري في القرن (١٤م)، وكانت لا تزال تحتفظ بقيمتها التجارية، راجع: مسالك، ج١/ ٤٥٠، أيضًا: موسوعة تاريخ القفقاس، ص ٢٤٠.

(١) ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، ص ١٨٩.

(٢) سيطر الروس على سواحل بحر أزوف حتى صار يُعرف باسم بحر روسيه، راجع: بنيامين التطيلي (٥٦٩هـ/ ١١٧٣م)، رحلته، ترجمة: عزرا حداد، دراسة د: عبد الرحمن الشيخ، أبو ظبي، ٢٠٠٢، ص ٢١٩.

(٣) راجع: فتحي سالم حميدي، إمارة كييف الروسية: دراسة تاريخية في نشأتها وعلاقاتها الخارجية، مقال ص ١- ٣٥، نُشِر في مجلة كلية العلوم الإسلامية، جامعة الموصل (العراق)، عدد ١٣، مجلد ٧، ص ٤- ٥.

نهري الدون والفولجا، ويتم الإبحار فيه جنوبًا للوصول إلى مدينة "إيتيل" التي كانت تقع في الحوض الأدنى للفولجا(١).

وبذلك نلاحظ أن الروس كان مقصدهم تأمين الطريق التجاري الذي يُلامس الساحل الشمالي من البحر الأسود بداية من مصب الدنيبر وحتى بحر قزوين في الشرق؛ أي الطريق الذي تُشرف عليه الأحواض الدنيا لأنهار الدنيبر والدون والفولجا؛ وكان مقصدهم أيضًا بلوغ تجارة بحر أزوف من خلال مضيق كيرتش(٢)، أما أن يكون مقصدهم تدمير دولة الخزر فهذا أمرٌ غير مقبول؛ بدليل أن المُدن الخزرية الداخلية عادت بعد سنة ٩٦٨م إلى ثرائها وعُمرانها(٣)، تاركة السواحل لسيطرة الروس.

المِلاحة النهرية بين الخزر والروس:

ضمن الروس السيطرة على السواحل النهرية والبحرية من خلال مراكبهم؛ التي كانت ذراعهم الطولى، وسلاحهم الرهيب، وهي على أية حال استمدت أصولها من

---

(١) See: Golden (P.), Khazar studies, Budapest, **1980**, vol. **1**, p. **82**; **أظن الباحثة إليزابيث بينيجسن أخطأت باعتقادها أن الروس كانوا يبلغون إيتيل برًا، وأزعم أنهم دومًا سلكوا طريق الفولجا، راجع:** Bennigsen, Contribution à l` étude du commerce, p. **395**. **وقد كان الروس عمومًا أهل بحر ومراكب، وليسوا راجلة ولا أصحاب دواب، وأقرب التصور لمسير حملاتهم في بلاد الخزر، أنهم أولًا انطلقوا من مدينة تموتوراكان في أقصى شمال شرق البحر الأسود، ومنها إلى مضيق كيرتش ثم بحر أزوف؛ ليدخلوا بعدها نهر الدون من خلال مصبه في أزوف نفسه، حتى يصلوا مدينة ساركل الواقعة على نُهير تنياس المتفرع من الدون، ومنها يسيرون برًا بضعة كيلومترات، ليبلغوا مسار الفولجا الذي يُبحرون فيه حتى عاصمة الخزر إيتيل، انظر: بورفيروجنيتوس، إدارة، ص ١٤٧ – ١٥١؛ المسعودي، مروج، ج١/ ١٤١ – ١٤٢.**

(٢) Madgearu, the place of Crimea, p. **200**.

(٣) **راجع التفاصيل في: ابن حوقل، صورة ، ص ٣٣٣؛ أيضًا:آرثر كيستلر، القبيلة، ص ١٢٧– ١٢٨.**

مراكب اسكندنافيا في بواكير العصور الوسطى؛ التي أثبتت فاعليتها على طول سواحل البلطيق وبحر الشمال، والبحر المتوسط وصولًا إلى سواحل الأطلسي(١).

ولا يُستبعد أن الروس استخدموا الشكل القديم للمراكب الاسكندنافية فترة من الزمن، بعد استيطانهم في الحوض الأعلى لنهر الدنيبر، قبل أن يتأثروا بالمراكب السلافية التي كانت شائعة في مِلاحة هذا النهر.

كانت هذه المراكب تُسمى مونوكسيلا Monoxyles، وقد فصّل لها الحديث صاحب كتاب إدارة الإمبراطورية البيزنطية، فذكر أن فصائل من السلاف كانوا يُصنّعونها للروس، الذين يزوّدونها بالمجاديف، والمُعدّات اللازمة، ويُجّمعونها في مدينة كييف قبل الإبحار بها في الدنيبر(٢).

---

(١) **كان المركب الاسكندنافي يأخذ شكلًا أشبه بالمستطيل، ولا يقل طوله عن ٢٠ مترًا وعرضه يُناهز الثلاثة أمتار، به صفان من الدكك الخشبية التي يجلس عليها المُجدّفون، مزود بشراع رباعي، ومقود جانبي للمساعدة في توجيهه، وله صفوف من الفتحات الصغيرة على جانبيه، تخرج منها المجاديف، وكانت لهذه المراكب أسماء تختلف حسب اتساعها وحجمها، فمنها ما يُسمى سنيكجا** Snekkja **وأيرسكيب** Herskip **ولونجسكيب** Longskip **وسكيده** Skeidh، راجع:

Magnusson (M.) and others, the Vikings, U. K, 2006, pp. 180- 181; Ridel (E.), Bateaux de type Scandinave en Normandie (X- XIII Siècle), H. M. V. E. O, pp. 297- 309 ; Renaud (J.), La mer et les bateaux dans les Sagas, H. M. V. E. O, pp. 226- 246; Neveux, L'Aventure des Normands, Paris, 2006, p. 37.

(٢) **ذكر بورفيروجنيتوس أن فصيلين سلافيين كانا مسؤولين عن تصنيع المونوكسيلا هما:** Krivichians **الكرفيشيان، واللينزاني** Lenzanene**، انظر: إدراة، ص ٦٠؛ وكلمة مونوكسيلا هي يونانية تعني قطعة واحدة، دلالة على بساطة أشكال هذه المراكب، انظر: طارق منصور، الروس، ص ٢٤١، هامش (٥٣)؛ وهناك من أكد على أن هذه المراكب ظهرت لفترة طويلة قبل استقرار الروس في مدينة كييف، وقد استخدمها السلاف والآفار في حصار القسطنطينية سنة ٦٢٦م، راجع:=**

=Barišić (F.), le Siège de Constantinople par ls Avares et les Slaves en **626**, pp. **371**- **395**, "B Z", t. **24**, Fas. 2, **1954**, p. **386**;

وقد عُثر على بعض مراكب صغيرة منها في سهل لمبارديا الإيطالي، ذات عرض وعُمق بسيطين، أنظر:

ولا يُمكن التمييز في الملاحة الروسية بين مركبًا حربيًا وآخر تجاريًا؛ بل كان واحد منهم يقوم بالمهمتين معًا؛ متى اتفقت الظروف والأسباب لذلك، فما أسهل من أن يتحول التاجر الروسي إلى مُقاتل شرس متى دعت الحاجة إلى ذلك، وقد كانت ظروف مِلاحتهم في نهر الدنيبر، وما قد يقع لهم من هجمات البشناق، ما يُحتّم على التجار الروس أن يُبحروا دائمًا مدججين بالسلاح(١).

ومما لا شك فيه أن الروس كانوا متفوقين على الخزر ملاحيًا، ولكن هذا لا يمنع أن هؤلاء كانت لديهم أيضًا مراكب؛ وقد ورد عند ابن فضلان خلال حديثه عن بلغار الفولجا أن سفنًا من بلاد الخزر كانت تذهب إليهم للتجارة(٢)، وذكر الإصطخري أن الخزر كانت لديهم مِلاحة نهرية، ولكن لم يُوضح كيف كانت هذه المِلاحة(٣)، وذكر ابن حوقل أن الخزر كانت لديهم سفن صالحة للإبحار النهري، استخدموها لنقل بضائعهم ومنتجاتهم الزراعية(٤)، وأشار المسعودي إلى أنهم استخدموا للتجارة سفنًا وزوارق، على أنه عاد وناقض نفسه فذكر أن الخزر لم يكن لديهم مراكب(٥)، وأحسب

Tabariès de Grandsaignes, Deux barques monoxyles anciennes peu connues, "B. S. P. F.", t. **6,** No**. 9, 1909**, p. **459- 460**.

(١) **لا يمكن التفريق بين المُحارب الروسي والتاجر، فكان التجار يُبحرون مدججين بالسلاح، ولذلك من الوارد**

أن تكون المراكب الروسية تجارية حربية في الوقت نفسه، وقد قدَم الدكتور طارق منصور تحليلًا رائعًا لهذه القضية، انظر: الروس والمجتمع الدولي، ص ٢٦ – ٢٧؛ راجع أيضًا:

Watts (S.), From raiders to trader: the Viking – Arabe trad exchange, art. in "S.S.", vol. **4** , (**2**), **2015**, pp. **117** – **128**.

(٢) **أحمد ابن فضلان (ت بعد ٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، رحلته، تحقيق: سامي الدهان، دمشق، ١٩٥٩، ص ١٤٥.**

(٣) **الإصطخري، مسالك الممالك، ص ٢٢١.**

(٤) **ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٣٣٣.**

(٥) **المسعودي، التنبيه والإشراف، ليدن، ١٨٩٣، ص ٦٢؛ --مروج الذهب، ج١/ ١٣٩، ١٤٢.**

أن روايته الأولى هي الأصوب، وإنما وقوعه في تناقض يرجع إلى نقله أخباره عن مصدرين سابقين عليه، مُتعارضين فيما يخص هذه المعلومة.

أهم البضائع التجارية في الحوض الأدنى لنهر الدنيبر بين الخزر والروس:

أولًا: العبيد: صدّر الروس العبيد إلى أسواق الخزر وبيزنطة، وكان لهم سوقًا مخصصًا في بيزنطة لبيع العبيد(١)، وكانت مراكبهم تحمل العبيد خلال نهر الدنيبر، فإذا بلغت حوضه الأدنى؛ سلكت ثلاث وجهات للإتجار؛ إما جنوبًا خلال البحر الأسود حتى القسطنطينية؛ أو شرقًا إلى أحواض أنهار الدون والفولجا؛ حيث الأسواق والمُدن الخزرية؛ أو غربًا عبر نهر الدانوب إلى أسواق البلغار والصقالبة(٢).

ونفهم من روايات المصادر الإسلامية أن المجتمعات السلافية (الصقلبية) المتوطنة حول نهر الدنيبر (نهر الروس)، قدّمت للروس موردًا دائمًا من العبيد(٣)، على أننا يجب إلا نبالغ كثيرًا في القول أن الروس احتكروا تجارة العبيد في نهر الدنيبر، بل شاركهم فيها التجار الخزريون، الذين كانوا غالبًا من اليهود(٤)، على الأقل حتى أربعينيات القرن العاشر الميلادي، وهذا أمر لم يتحمله الروس طويلًا.

ويتضح من المعاهدات التي أُبرمت بين الروس والبيزنطيين سنتي ٩١١، ٩٤٤م وأوردتها الحولية الروسية، أن تثمين العبيد اختلف باختلاف حالتهم: فإذا كان المُباع عبدًا ممن ينتظم في خدمة الروس، كان البيزنطيون يُقيمون ثمنه بقطعتين من القماش الحريري، أي أن ثمنه يتراوح بين اثنا عشر إلى أربع وعشرين بيزنطًا Bezant أو

---

(١) Mavor, An economic history, p. **12.**

(٢) **بيروفيرجنيتوس، ص ٦١- ٦٤؛ راجع أيضًا:** Kluchevsky, A Hist. of Russia, p **79.**

(٣) **راجع: الجربيزي، ص٣٩٤- ٣٩٥؛ أيضًا :** Golden, Question of the Rus, p. **89.**

(٤) Pritsak, the Origin…, p. **262- 263;** Noonan, the Economy, p. **232- 233.**

(نوميزماتا Nomismata)[١]، وإذا كان المُباعون من الأسرى، سواء أكانوا بيزنطيين أم روسًا، فقد جعلت اتفاقية ٩١١م ثمن الواحد منهم عشرين بيزنط، في حين تراوحت أسعار اتفاقية ٩٤٤م بين خمس بزينطات للأطفال والعجائز، وثمانية لمتوسطى الأعمار، وعشرة لليافعين من الفتيان والفتيات[٢].

---

(١) ورد في كتاب والي المدينة أن ثمن التونك الحريري سنة ٩٤٠م كان يتراوح بين ٦ إلى ١٢ نوميزماتا، والمفترض أن القطعة من القماش الحريري كانت تكفي لصنع تونك، ولذلك جاءت الدراسة بسعر ترجيحي لثمن العبد على هذا الأساس، انظر:

Livre du Préfet, ch. 8; See also: Morrisson (C.) & Cheynet (J.-C.), Prices and Wages in the byzantine world, pp. 815– 878, "D. O. R. L. C.", p. 851;

والتونك Tunic (Tunique) هو ثوب كان يُصنع من الحرير، ويظن البعض من خلال روايات الإمبراطور قنسطنطين بورفيروجنيتوس أن التونك كان رداءًا إما طويل الأكمام أو قصيرها، يصل إلى أدنى الركبتين، وقد لبسه النساء والرجال في الحفلات الراقصة، كما ارتداه أحيانًا موظفو وبطانة الإمبراطور خلال هذه الحفلات، وشاع لبسه أيضًا بين الجنود، وقد وردت له أسماء أخرى مثل: شيتون، وإيماتيون، وستيكاريون... ، للتفاصيل راجع:

Constantin VII Porphyrogénète, Le livre des ceremonies, trad. Par, A. Vogt, t. 1, Paris, 1935, p. 134; see also: Ball (J.), Byzantine dress: Representations of Secular Dress in (8– 12) century painting, N.Y, 2006, pp. 40- 41; Dawson (T.), Propriety, practicality and pleasure, pp. 42– 53.

(2) R. P. C., pp. 68, 75; voir aussi: Antoniadis– Bibicou (H.), Démographie, Salaires et prix à Byzance au XIe Siècle, p. 228; Morrisson & Cheynet, Prices .., p. **847**;

والبيزنط اسم اشتقه اللاتين من كلمة بيزنطة، وهي العملة الذهبية لبيزنطة، وكانت تُعادل في القرن (١٠م) ٤.٤٥ جرامًا ذهبيًا، راجع: بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ترجمة: د. حسن محمد عطية، إسكندرية، ١٩٩٨، ص ١٩٣ – ١٩٤ (هامش ١٧)، وكانت تُسمى سو Sou، وهي تحريف لكلمة صوليدي اللاتينية Solidus، راجع: توفيق اسكندر، بحوث في التاريخ الاقتصادي، القاهرة ،١٩٦١، ص ٤٦٣–٤٧٤؛ وهي نفسها النوميزماتا أو

والجدير بالذكر أن الروس صدّروا العبيد أيضًا إلى أسواق البلغار في أعلى نهر الفولجا، ونافسوا بقوة التجار الخزريين هناك، وتمكنوا من بيع العبيد أيضًا في أسواق الخزر نفسها، التي تقع على السواحل الشمالية للبحر الأسود(١)، وقد ربحوا الكثير من بيوعهم هذه كما لاحظ الكتاب والرحالة المسلمين، على أنهم كانوا لا يقبلون مُقابل بضاعتهم إلا العملات الفضية.

وأما الخزر فقد مثلت أسواقهم على سواحل البحر الأسود مراكز لتبادل العبيد بين التجار الروس والتجار المسلمين؛ وكانت مدينتهم تموتوراكان أهم هذه الأسواق(٢)، ولكن الروس بعد أن استولوا عليها في عام ٩٤٣م، باتوا منفردين بتجارة العبيد في القِرم والحوض الأدنى للدنيبر؛ قبل أن يجدوا في البشناق منافسًا جديدًا؛ أقض مضاجعهم خلال بقية القرن العاشر الميلادي.

ونفهم من إشارة لقسطنطين بورفيروجنيتوس أن البشناق كانوا دائمي الإغارة على جيرانهم الأتراك لجلب العبيد(٣)، كما أن الكُتّاب المسلمين لاحظوا قوة شكيمة البشناق

النوميزما البيزنطية التي كانت تتكون من ٢٤ قيرط، واحدها يُعادل سدس جرام ذهبي، راجع: صارق منصور، معاهدتا ٩١١،١٠٧م، ص ١٢ (هامش ٨).

(١) Tolochko, the Primary chronicle`s ethnography pp. **185, 187- 188.**

(٢) King, the Black sea, p. **74**; De la Vaissière, les marchands, p. **373**.

(٣) إدارة الإمبراطورية، ص ٥٦– ٥٧؛ وقد خالف الجرديزي هذه الرواية فذكر أن البجناك كانوا دائمًا عُرضة **لغارات الخزر وغيرهم من الأمم المجاورة مثل البرداس والصقالبة، وهؤلاء كانوا يحملون السبايا من البجناك، راجع: زين، ص ٣٨٧؛ ولا أحسب هذا التعارض قد وقع إلا لأن الجرديزي في أخباره عن البجناك وغيرهم من الأتراك فضلاً عن الروس كان ناقلاً عن روايات سابقة لمؤرخين كتبوا في القرن التاسع مثل: ابن رسته وابن خُرداذبة رُغم أن الجرديزي نفسه كان من كُتاب القرن (٥هـ/١١م)، وبذلك يكون قد أرخ لأخبار البشناق في فترة باكرة من تاريخهم، خضعوا فيها لسيادة الخزر، وهكذا تُعد رواية بورفيروجنيتوس هي الأصوب إذ أرخ للبشناق في منتصف القرن ١٠م حينما خطّ كتابه؛ وقد وافقه صاحب كتاب حدود العالم ، ص ١٤١؛ والمروزي، طبائع الحيوان،**

وشراستهم، ومجالدتهم الدائمة للروس(١)، على أنهم غفلوا عن ظهير قوي كان يدعم وجودهم في الحوض الأدنى لنهر الدنيبر وهو بيزنطة.

وقد وجد الروس في مدينة خرسون أيضًا منافسًا لهم في تجارة العبيد في الحوض الأدنى الدنيبر، وكانت مبارزًا رئيسًا لمدينة تموتوراكان التي صارت لهم بعد سنة ٩٤٣م(٢)، ولذلك لم ينقض القرن العاشر حتى خرّب الروس خرسون، وصفيت لهم تجارة العبيد بلا منافس.

ثانيًا : تجارة الفِراء: كانت الفِراء من أهم السلع التي تبودلت في نهر الدنيب، وقد احتكر الخزر الإتجار فيها طيلة القرن التاسع الميلادي، حتى سيطر الروس على المراكز الرئيسة في أعلى ووسط نهر الدنيبر، وباتوا يتحكمون في تجارة الفِراء(٣).

وبلغ من أهمية هذه السلعة أنها مثلت قسمًا رئيسًا من الضرائب العينية التي كان الأمراء الروس يفرضونها على أتباعهم السلاف حول نهر الدنيبر(١)، وكانوا يشحنونها في سفنهم لبيعها في أسواق بيزنطة بانتظام كل عام(٢).

ص ٣٢؛ والمسعودي، المروج، ج١/ ١٥٣؛ وأيضًا: أبو عبد الله القزويني (ت ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م) الذي ذكر أن البجناك لم يخصعوا لأحد: آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، د. ت، ص ٥٨٠.

(١) Bulan, la Présence byzantine, pp. **31- 32.**

(٢) ذكر أحد الباحثين أن خرسون كانت نسخة مشابهة للقسطنطينية في القرن العاشر الميلادي، تقع على حافة عالم متبربر واسع مترامي نحو الشمال، راجع: Noonan, European Russia, p. **491.**

(٣) عرف الروس تجارة الفِراء منذ تاريخهم الأول على سواحل البلطيق كتجار سويديين، فوردت روايات في المصادر الاسكندنافية عن أهمية تجارة الجلود وفِراء الدلق والقندس والسمور، وقد تاجر فيها هؤلاء السويديون قبل استيطانهم الدنيبر مع مراكز تجارية ترجع للفنلنديين- الأوغريين على سواحل البلطيق:

See details in : Snorre Sturlason, Heimskringla or "the lives of the norse kings", ed. & trans. E. Monsen & A. H. Smith, New York, 1990, p. 360; The Voyages of Ohthere of Hålogaland and Wulfstan of Hedeby, En. Trans. Site of http : // www. sagazorm. net/ zorm/ mythology/ohthere/ow.html.

وكان الروس – قبل إخضاعهم مدينة تموتوراكان الخزرية المتحكمة في مضيق كيرتش – إذا قصدوا القِرم بتجارتهم، يستأذنون الحكام الخزر، ويدفعون لهم ضرائب تصل إلى عُشر قيمة بضائعهم.

وقد اكتفى الخزر بهذه الضرائب، ولم يباروا التجار الروس أو ينافسوهم في جلب الفِراء من الشمال القصي؛ بل قنعوا بلعب دور الوسيط التجاري بين الشمال والجنوب؛ وبين الغرب والشرق، واستغلوا جيدًا تحكمهم حتى أربعينيات القرن العاشر – في مضيق كيرتش؛ وسواحل القِرم، ففتحوا مدنهم وأسواقهم للتجار الروس والمسلمين على السواء؛ والأخيرين تحديدًا أقبلوا في لهفة على شراء العبيد والفراء من الروس، وكانت أسواق الحوض الأدنى للدنيبر إحدى أهم نقاط الالتقاء بين الطرفين: الروسي والإسلامي(٣).

---

(١) **ذكر صاحب كتاب حدود العالم أن الروس كانوا يدفعون ما قيمته العُشر من تجاراتهم إلى حُكامهم ، ص ١٤٠؛ وورد في الحولية الروسية أن سلاف الدنيبر كانوا ملتزمين بتقديم فرو سنجاب عن كل بيت للخزر، ونستنتج أن الروس أخذوا منهم الجزية نفسها، انظر: .R. P. C., p. 59.**

(٢) R. P. C, p. **77**; also: Tolochko, the Primary …, pp**. 186– 187.**

(٣) Bulan, la Présence byzantine, pp**. 33- 36;**

كانت تجارة الروس مع العالم الإسلامي في غاية الأهمية، الأمر الذي دفع الباحث توماس نونان إلى القول أن تطور مدينة كييف الروسية حتى الربع الأول من القرن ١٠م إنما يعود إلى مشاركتها في التجارة مع العالم الإسلامي، وهو في ذلك قد بالغ ولا ريب، وقد أكدت الباحثة ج. مارتن على أن تطور هذه المدينة ليس له علاقة سياسيًا أو اقتصاديًا بما كان يجري في العالم الإسلامي وقتئذ، انظر:

Noonan (T.), The impact of the islamic trade upon urbanization in the Rus' lands : the 10th and early 11th centuries, France, 2000, 387- 388; Marten, Coins, Commerce and the Conceptualization of Kievan Rus, 168.

وقد استُخرِج الفِراء من حيوانات كانت مواطنها تقع في غابات الأحواض العليا لأنهار الدنيبر والدون والفولجا(١)، وبمراجعة أوصاف هذه الحيوانات، نخلص إلى أن الصيادين الروس كانوا على مهارة عالية في قنصها، واستخلاص فِرائها، لأن أحجام بعضها كانت صغيرة جدًا(٢).

والجدير بالذكر أن فِراء هذه الحيوانات كانت أثمانها مُرتفعة، وكانت تختلف حسب نوع الحيوان وحسب لون الجلد أو الفرو، ففرو الثعلب الأسود كان يصل إلى مائة دينار وربما أكثر، وأما الفرو الأحمر فسعره أقل، وأدنى منه الأصفر(٣).

---

(١) Bennigsen, Contribution à l` etude du commerce, p. 392; Kovalev (R.), the Infrastructure of the northern part of the "Fur road" between the middle Volga and the east during the middle ages, pp. 27- 28;
أيضًا أنظر: طارق منصور، الروس والمجتمع الدولي، ص ٢٤٤.

(٢) يُمكن تقسيم هذه الحيوانات حسب النوع والحجم إلى حيوانات فروية كبيرة، مثل: الذئاب والثعالب، وحيوانات فروية صغيرة (سموريات وقوارض)، مثل: السنجاب والسمور والقندس والقاقم والدلق والأرنب
البري والظُربان والوشق وحيوان المرموط، وقد تحدث المروزي عن حيوان السمور Sable وعدّه من أهم هذه الحيوانات الفروية، وجعله من فصيلة ابن عرس (السراعيب أو العرسيات)، وأضاف إلى فصيلته حيوانًا فرويًا آخر اسمه ابن مقرض، وتحدث أيضًا عن حيوان الدلق Marten، فأعطاه اسم الخزّ، وامتدح فرائه، التي تُشبه فِراء السمور، وتحدث عن الوشق، فذكر أنه من فصيلة السنوريات، وكان يطلبه الصيادون لفروه الجيد المُلون، انظر: طبائع الحيوان، ص ١٣٨، ١٤٥- ١٤٦، ١٤٨؛ وكان القُندس Beaver أيضًا من الفرويات المهمة، وهو من فصيلة القوارض، وقد يصل طوله إلى ٦٠ سم، ويتميز بذيل مفلطح، ووجود غشاء بين أصابعه، مما يساعده على السباحة، ولديه كيس أسفل الجلد خلف خصيتيه، يفرز منه زيت الخروع Castor العطري، ولذلك كان الطلب عليه كبيرًا جدًا لاستخدامات طبية، ولفرائه الناعم الطويل، فضلًا عن صلاحية لحمه للأكل، ومنها القاقم Ermin وهو من العرسيات، وفروه من أفخم أنواع الفِراء وأغلاها ثمنًا؛ والمرموط يُعد من فصيلة القوارض، أكبر حجمًا من الجُرذ، غير أنه ذنبه أقصر، ويتميز بفروه الرمادي الجيد، راجع: أمين معلوف، مُعجم الحيوان، بيروت، ١٩٢٧، ص ٣١، ٥٢، ٩٩، ١٥٨.

(٣) راجع: المسعودي، مروج الذهب، ج١/ ١٤٠؛ المروزي: طبائع الحيوان، ص ١٣٦.

وقد حرص الصيادون الروس على اقتناص الحيوانات الفروية بطُرق مختلفة دون أن يلحقوا بها جروح، قد تؤدي إلى خرق الجلد، مما قد ينتج عنه تقليل قيمته التجارية[١]، فإذا كان الحيوانات كبيرة مثل الذئاب والثعالب، نصبوا لها أفخاخًا لاصطيادها، مع الحرص على عدم جرحها أو خرق جلودها، وإذا كانت الحيوانات صغيرة من أنواع السنجابيات والقوارض الفروية، رموها بأسهم مطرقية خاصة، تؤدي إلى صرعها وليس جرحها، حتى يصل الصياد إليها، ويستطيع – بعد تقييدها– أن يحملها في أكياس أو في شِباك من الحبال[٢].

---

(١) ربما ورث الروس مهارة الصيد من الفنلنديين – الأوغريين الذين شغلوا مساحات واسعة من الأقاليم شمالي الفولجا والدنيبر، للتفاصيل عن الفنلنديين ومهارتهم في الصيد، انظر:

Snorre Sturlason, Heimskringla, p. 66; Saxo Grammaticus, **1979**, p. **153**; also: Martin (J.), the fur trade and its significance for medieval Russia, pp. **7**– **9**; T. Rossby (H.), Ocean Eddies in the 1539 Carta Marina by Olaus Magnus, in " O. G.", vol. **16**, n. 4, **2003**, pp. **77**– **88.**

(٢) زار الرحالة ماركو بولو في القرن الثالث عشر الميلادي بلاد الروس التي أسماها بلاد شمال التتار، ووصف الحيوانات الفروية الصغيرة هناك، مثل السمور والقاقم والسناجب والثعالب، وامتدح مهارة الصيادين في نصب الأفخاخ لهذه الحيوانات، راجع:

The travels of Marco Polo, En. Trans. M. Komroff, New York, **1953**, pp. **345** – **346**; The travels of Marco Polo, En. Trans. R. E. Latham, London, **1958**, p. **331**;

وقد تحدث ابن بطوطة (محمد بن عبدالله اللواتي ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م)خلال رحلته إلى بلاد البلغار والروس في القرن (١٤م) عن استخدام الصيادين خلال الشتاء لعربات تجرها الكلاب، التي كانت حسب وصفه مُدّربة، وبلغت قيمة الواحد منها ألف دينار، وتحدث عن أهمية تجارة فِراء السمور والسنجاب والقاقم بين شعوب هذه البلاد، راجع: رحلته (تُحفة النُظار في غرائب الأمصار وعجائب الأنظار)، تحقيق: محمد عبد المنعم العريان، بيروت، ١٩٨٧، ج١/ ٣٤٥ – ٣٤٦، وذكر العُمري، أن فِراء السمور والسنجاب كانت تقصد من بلاد الصقالبة (البلغار والروس) إلى وسط آسيا، راجع: مسالك، ج٣/ ١٥٧.

وكان حيوان السمور (القندس) خصيصًا ذا أهمية كبيرة للصيادين والتجار الروس على السواء، وكانت مصائده تقع على الدنيبر قُرب مدينة كييف، وقد أفاد الروس من فِراءه، وأكلوا لحومه أيضًا[١]، ولمّا كان دهن هذا الحيوان له أهمية كبيرة، وما له من خاصية إفراز زيت الخروع، كانت أسعاره مرتفعه لاستخدامات طبية، وقد صار الروس المُصدّرين الرئيسيين له للشرق الإسلامي بعد غزوهم مدينة إيتيل عاصمة الخزر سنة ٩٦٨م[٢].

كان يتم تجميع الجلود الفروية في المراكز والأسواق التي تقع على الدنيبر، لتنتظر قدوم الربيع؛ حيث يذوب الجليد، وتفيض مياه النهر؛ عندها تُشحن الفِراء في المراكب التي تنحدر جنوبًا إلى أسواق القِرم وبيزنطة، أو إلى أسواق الخزر[٣].

وكانت الفراء والجلود يتم بيعها في صورة حِزم أو ربطات، فكانت كل حزمة تحوي أربعين جلدًا أو فروًا، وهذه الحِزم صارت وحدات قياسية لبيع الفِراء اسمها سوروكي Sorochki، عُرِف بها التجار الروس[٤].

---

(١) ذكر أبو حامد الغرناطي أن بلغار الفولجا أكلوا لحوم القندس والسنجاب، انظر: تحفة الألباب، ص ١٧٨.

(٢)انظر التفاصيل في: الإصطخري، ، ص ٢٢٦؛ وابن حوقل، ص ٣٣٦؛ والإدريسي، مج٢/ ٩١٨؛ والجرديزي، ص ٣٩٥؛ وابن الوردي، ص ١٨٠؛ وشمس الدين الدمشقي (ت ٧٢٧هـ/ ١٣٢٧م)، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، بطرسبرج، ١٨٦٥م، ص ١٤٥؛ أيضًا:.Bennigsen, p. 392

(٣) ذكر بيروفيرجنيتوس أن الروس كاموا يُبحرون في الدنيبر في شهر يونيو من كل عام، انظر: إدارة، ص ٦٠؛
See also: Sorlin (I.), Le témoignage de Constantin VII Porphyrogénète sur l'état ethnique et politique de la Russie au début du Xe siècle, "C. M. R. S", vol. 6, n°2, 1965, p. 148; Kovalev, the Infrastructure of the northern part of the "Fur road", pp. 45 - 56

(٤) يذهب البعض إلى أن هذه الوحدة عُرِفت في شمال أوربا منذ القرون الوسطى الأولى، وكانت تُسمى في الجرمانية Timber تمبر، ولكن شهرتها الطاغية جاءت على يد الروس في كييف بين سنتي ٩٠٠– ١٢٤٠م، وتعني التسمية (أربعين جِلدًا فرويًا)، وكان يتم عدّها إما في صورة أربع حِزم، في كل حِزمة أو ربطة عشرة جلود أو فروات، أو يتم ترتيبها في صورة

والواقع أن تجارة الفِراء جلبت إلى الروس كميات ضخمة من الدراهم الفضية، التي جاءت من العالم الإسلامي كثمن للفِراء(١)، على أن أكثر هذه الدراهم جاءت من دولة السامانيين الواقعة في وسط آسيا، شرقي بلاد الخزر(٢)؛ ولذلك كانت أسواق الخزر على سواحل البحر الأسود وسواحل بحر قزوين تُمثل محطات مهمة لتبادل الفِراء الروسي مع الدراهم الإسلامية(٣).

وقد كان نهر الدنيبر أحد الشُرايين التجارية الرئيسة التي نُقلت من خلالها الدراهم الإسلامية إلى الروس وممالك بحر البلطيق وشمالي أوربا، دلّ على ذلك العمليات الكشفية التي أجريت على ضفافه، وانتهت إلى العثور على كميات كبيرة من الدراهم

ثمان حِزم، في كل واحدة خمسة من الجلود الفروية، وقد كانت هذه الوحدة القياسية هي المعمول بها في تجارة الفراء، راجع:

Noonan (T.) & Kovalev (R.), the Furry 40s: Packaging pelts in medieval **northern Europe, pp. 653 – 654; E. W. T., p. 653.**

(١) ذكر البعض أن الروس حصّلوا بعض هذه الدراهم كجزية من مدن إسلامية حول قزوين، أو من قبائل تاجرت مع المسلمين، انظر: .Petrukhin, Khazaria and Rus, pp. 245, 254 ؛

ومما شجّع على قول هذا أن الحولية الروسية ذكرت أن قبائل بين نهري أوكا والفولجا دفعت الضريبة للروس في صورة قطع نقدية فضية في ستينيات القرن العاشر، راجع: .R. P. C, p. 84

(٢) السامانيون يرجعون إلى أصل فارسي، أقاموا دولة تابعة للخلافة العباسية في بلاد ما وراء النهر في الفترة بين سنتي (٢٦١– ٣٨٩هـ/ ٨٧٤– ٩٩٩م)، وبلغ نفوذهم مدينة خراسان، وكان لهم دورًا بارزًا في الذب عن الخلافة العباسية، وقتال أعدائها، راجع: عبد الرحيم يوسف آل الشيخ، الأحوال السياسية للدولة السامانية في بلاد ما وراء النهر (٢٦١– ٣٨٩هـ)، ص ١٦٤– ١٩٤، مجلة الدرعية، عدد ١٧، يونيو، ٢٠٠٢؛ إحسان الثامري، نظام الحكم والإدارة في الدولة السامانية (٢٦١– ٣٨٩هـ)، ص ٢٢٩– ٢٨٤، مجلة المشكاة، جامعة العلوم الإسلامية، عمان – الأردن، ج١، عدد ١، يناير، ٢٠١٤.

(٣) ذكر الجرديزي أن بلغار الفولجا كانوا أيضًا ينقلون الدراهم السامانية (الصامتة) إلى الروس مقابل الفِراء، راجع: زين الأخبار، ٣٩١.

السامانية، خاصة في الطريق الموصل بين مدينة كييف وبين بلغار نهر الفولجا في الحوض الأوسط(١)، مما جعل ثمة باحثين يُقدّروا أن حوالي ١٢٥ مليون درهم دخلت شمالي أوربا عبر روسيا خلال القرن العاشر الميلادي، واعتبروا أن حوالي المليون وربع الميلون منها وصلت إلى بلاد الروس في كل عام من أعوام القرن العاشر(٢).

زيادة على ما سبق ذكره عُثِر أيضًا حول نهر الدنيبر على كميات من العملات الذهبية البيزنطية، وهذا يعكس نشاط الحركة التجارية بين الروس والبيزنطيين، خاصة خلال القرن العاشر الميلادي، رُغم محظورات بيزنطة في السماح لذهبها بتجاوز حدود الإمبراطورية، ووقوعه في يد البرابرة(٣).

وكان الروس يشترون بأثمان الفِراء بضائع من العالم الإسلامي، مثل الزجاج والسيراميك والمُرجان والعنبر الحجري، والأحجار الكريمة (الجمشت)، والحجر الكريستالي، والعقيق بلونيه الأحمر والأبيض، وحجر اليشب والرخام وحبات الخرز، وكانت هذه البضائع تصل إلى أسواق بيزنطة والقِرم، ومنها تنفذ من خلال الحوض الأدنى لنهر الدنيبر لتصل إلى بلاد الروس وشمالي أوربا، كما حملوا من أسواق بيزنطة الحرير والصوف المُلون(٤).

---

(١) Mavor, An economic history, p. **13**; Martin, Trasure of the land, p. **11**.

(٢) See details: Noonan (T.), Fluctuations in Islamic trade with eastern Europe during the viking age, p. **243**; - The Vikings in the east: Coins and Commerce, p. **227**; Hraundal (T.), the Rus in Arabic sources, PHD in Univ. of Bergen, pp. **137- 140**.

(٣) يرى البعض أن النقود الذهبية التي عُثِر عليها حول الدنيبر إنما ترجع إلى الإتاوات التي كانت تدفعها بيزنطة للروس، فضلًا عن الرشاوى والإعانات المالية التي كانت تُبذلها نظير الاتفاقيات السياسية، راجع:

Vasiliev (A.), the Second Russian attack against Constantinople, D. O. P, vol. **6**, **1951**, pp. **161- 225;**

وسام عبد العزيز، الدولة والتجارة، ص ١٥.

(٤) ذكر أبو حامد الغرناطي أن الروس اتخذوا الصوف الأحمر الجيد، وأكد على أنه كان أفضل من الديباج (الحرير) الرومي، وأن ثمن الذراع منه كان مئة دينار ذهبي، راجع: تحفة الألباب، ص ٧١.

وقد أفرد الرحالة ابن فضلان (في القرن العاشر) قسمًا من أخباره للحديث عن سلعة الخرز، فذكر أن التجار الروس كانوا حريصين على شرائه، وقد بلغ ثمن حبة الخرز الواحدة درهمًا، وكان الروس يُزينون به سيوفهم، وأهدوه إلى نسائهم ليصنعن منه القلائد(١).

وأخيرًا يُمكن القول أن التجارة في الحوض الأدنى لنهر الدنيبر خلصت تمامًا للروس قُرب نهاية القرن العاشر الميلادي، وذلك لأسباب ومنها:

١- لم تدم دولة الخزر طويلًا كدولة تجارية، بعد أن فقدت مراكزها الحيوية على سواحل البحر الأسود وبحر قزوين لصالح الروس، ورغم بقاءها ككيان عسكري حتى القرن الحادي عشر، غير أنها قبعت في الظل شمالي بحر قزوين، ولم يعد لها أثرًا ملموسًا سياسيًا وتجاريًا بين الروس والبيزنطيين(٢).

٢- تطورت دولة الروس خلال القرن العاشر الميلادي، وانتظمت مدنها الكبيرة وحواضرها التجارية حول نهر الدنيبر وفي أعلي الفولجا في طاعة مدينة كييف، التي كان من أسباب تقدمها حرصها الشديد على التجارة، وفرض سيطرتها على مسالك الأنهار، وأهمها الدنيبر.

٣- أقبلت بيزنطة في القرن العاشر الميلادي على الدولة الروسية في الوقت الذي أدارت ظهرها للخزر، ودخلت في علاقات صداقة وتجارة مع الروس، وثقّت عُراها باتفاقيات سياسية ودبلوماسية، التي تُوجت بتحول الروس إلى المسيحية سنة ٩٨٩/ ٩٩٠م، وهذا مكّنهم أكثر من السيطرة على تجارة الحوض الأدنى للدنيبر.

قائمة المصادر والمراجع(٣)

أولًا: المصادر:

---

(١)معروف أن ابن فضلان قد زار بلغار الفولجا، وعاين هناك التجار الروس وخالطهم، وقدّم وصفًا عن تجاراتهم وعاداتهم، راجع رحلته، ص ١٥٠ – ١٥١، وأيضًا: ليلى عبد الجواد، تاريخ الروس، ص ٥٢ – ٥٤.

(٢) See: Golden, Khazar studies, p. 111; Zhivkov, Khazaria, pp. 166 – 169.

(□) تقتصر هذه القائمة على المصادر والمراجع الأجنبية فقط، أما المصادر والمراجع العربية والمُعربة فقد وردت كاملة عند ذكرها أول مرة في حواشي الدراسة.

- A Hist. of Sharvan and Darband in the 10th – 11th centuries , trans. V. Minorsky, Cambridge, 1958.
- Constantin VII Porphyrogénète, Le livre des ceremonies, trad., A. Vogt, t. 1, Paris, 1935.
- John Skylitzes, A Synopsis of byzantine history (811 – 1057), En. trans. by, J. Wortly, Cambridge, 2010.
- the Jew in the medieval world: A Source book, 315 – 1791, Ed. J. R. Marcus, N. Y, 1999.
- Le livre du Préfet, dite de Léon VI le sage, ed. J. Nicole, Paris, 1893.
- The Russian Primary Chronicle, trans, S. Cross & O. Sherbowitz- Wetzor, U. S. A., 1953.
- Saxo Grammaticus, the Hist. of Danes, vol. 1, (Books I – IX), En. Trans P. Fisher, ed. H. E. Davidson, London, 1979.
- Snorre Sturlason, Heimskringla or "the lives of the norse kings", ed. & trans. E. Monsen & A. H. Smith, New York, 1990.
- The travels of Marco Polo, En. Trans. M. Komroff, New York, 1953, pp. 345 – 346; The travels of Marco Polo, En. Trans. R. E. Latham, London, 1958.
- An unknown khazar document , En. trans. & ed. by: S. Schechter, pp. 181 – 219, in "J. Q. R.", vol. 3, n. 2, Oct. 1912.
- The Voyages of Ohthere of Hålogaland and Wulfstan of Hedeby, En. Trans. Site of http://www.sagazorm.net/zorm/mythology/ohthere/ow.html.
- the Works of Liudprand of Cremona , Trans. F. A. Wright, London, 1930.

ثانياً: المراجع:

- Adelson (H.),

Early Medieval Trade Routes, pp. 271– 287, in" A. H. R", Vol. 65, N. 2, Jan. 1960.

- Alekseenko (M.),

L'administration byzantine de Cherson et sa région d'après les sceaux (VIIIème-XIème siècle), thèse de doctorat, Univ. de Paris 5, 2005.

- Antoniadis – Bibicou (H.),

Démographie, Salaires et prix à Byzance au XIe Siècle, pp. 215- 246, dans "A. E. S. C.", 27 année, n. 1, 1972.

- Arrignon (J.- P.),

Les relations diplomatiques entre Byzance et la Russie de 860 à 1043, art. pp. 129- 137, "R. E. S.", vol. 55. t. 1, Sept. 1983.

- Asadov (F.),

Jurgan in the external re;ations and the history of the khazar khagante (7- 10th centuries), pp. 23- 38, in" Central Eurasia in the middle ages", Studies in honour of Peter Golden, ed. I. Zimonyi & O. Karaty, Germany, 2016.

- Avramea (A.),

Land and Sea communications, fourth – fifteenth centuries, art. pp. 57 – 90, in "the Economic history of Byzantium from the 7th through the 15th centuries , ed. A. E. Laiou , "D. O. R. L. C.", vol. 1, U. S. A., 2002.

- Ball (J.),

Byzantine dress: Representations of Secular Dress in (8– 12) century painting, New York, 2006.

- Barišić (F.),

le Siège de Constantinople par ls Avares et les Slaves en 626, pp. 371- 395, "B Z", t. 24, Fas. 2, 1954.

- Beckwith (Ch.),

Empires of the silk road : a history of central eurasian from the bronze age to the present, U. S. A, 2009.

- Bennigsen (E.),

Contribution à l'étude du commerce des fourrures russes [La route de la Volga avant l'invasion mongole et le royaume des Bulghars] art. pp. 385– 399, dans "C. M. R. S.", vol. 19, n°4, Octobre-Décembre 1978.

- Boba (I.),

Nomades, Northmen and Slavs: eastern europe in 9th cent, Germany, 1967.

- Bortoli (A.) & Kazanski (M.),

Kherson and its region, art. in " the Economic history of Byzantium from the 7th through the 15th centuries , ed. A. E. Laiou , "D. O. R. L. C.".

- Bréhier (L.), Vie et morte de Byzance, Paris, 1969.
- Brook (K.), the Jews of Khazaria, U. S. A, 2006.
- Brubaker (J.),

the End followed in no long time: Byzantine diplomacy and the decline in relations with the west (962- 1204), Master these, Univ. Of Texas, 2009.

- Bulan (R.),

La présence byzantine en Crimée et les relations entre l'Empire byzantin, les Khazars et les peuples voisins (VIIe - Xe siècles), art. pp. 1- 60, Univ. de Toulouse II, France, Sept. 2010.

- Bury (J.),

A Hist. of the eastern roman empire: from the fall of Irene to the accession of Basil 1 (A.D 802 – 867), London, 1912.

- Luttwak (E.), the Grand strategy of the byzantine empire, England, 2009.
- Chadwick (N.),

the beginnings of Russian history: an enquiry into sources, Cambridge, 1946.

- Curta (F.),

East Central Europe: the gate to Byzantium, pp. 1- 40, in" BZ", vol. 108 (2), 2015: Published Online: 2016-02- 04 | DOI: https://doi.org/10.1515/bz-2015-0017.

- Dawson (T.),

Propriety, practicality and pleasure: the parameters of Women's Dress in Byzantium A. D. 1000 - 1200, art. pp 41- 76, in book" Garland, Byzantine women: varieties of experience 800– 1200, U. K. 2006.

- Diehl (Ch.), Hist. de l`empire byzantin, Paris, 1969.
- De la Vaissière (E.),

les marchands d`Asie centrale dans l`empire khazar, pp. 367- 377, dans" les centres proto-urbains russes entre Scandinave, Byzance et Orient, ed. M. Kazanski & autres, Paris, 2000.

- Franklin (S.) & Shepard (J.), the emergence of Rus 750- 1200, U. S. A., 1996.
- Golden (P.),

- the Question of the Rus qaghanate, pp. 77- 97, in" International Slavic conference, Canada, Sept. 1974.
- Khazar studies, Budapest, 1980, vol. 1.
-An introduction to the history of the turkic peoples, Germany, 1992.
- the Convrsion of the Khazars to Judaism, art. in" W. K. S. P. J. I. K. C.".
-Studies on the Peoples and Cultures of the Eurasian Steppes, Romania, 2011.

- Grekov (B.), the Culture of kiev rus, Moscow, 1947.
- Grousset (R.), L`empire des steppes, Paris, 1965.
- Halpern (I.), Jews and Judaism in eastern Europe, Jerusalem, 1969.
- Howard-Johnston (J.),

Byzantine Sources for Khazar History, art. pp. 163- 193, in" W. K. S. P. J. I. K. C.".

- Hraundal (T.),

the Rus in Arabic sources: cultural contacts and identity, PHD in Univ. of Bergen, 2013.

- Humbert (B.),

la Circulation des Scandinaves dans la Rus aux IX- XI siècles, thèse de doctorat, Univ. de Paris 1, 2015.

- Johanek (P.), Merchants, markets and towns, C. M. H, 3.
- Khazanov (A.), Nomades and the outside world, U. S. A, 1994.
- King (Ch.), the Black sea: A history, Oxford, 2004.
- Kluchevsky (V.), A Hist. of Russia, N. Y, 1911, v. 1.
- Kovalev (R.),

the Infrastructure of the northern part of the "Fur road" between the middle Volga and the east during the middle ages, art. pp. 25 – 64, in:"A. E. M. A.", vol. 11, 2000 – 2001.

- Lewicki (T.),

Les sources hébraïques consacrées à l'histoire de l'Europe centrale et orientale et particulièrement à celle des pays slaves de la fin du IXe jusqu'au milieu du XIIIe siècle, art. 228– 241, "C. M. R. S.", vol. 2, No. 2, Avri – Juin 1961.

- Lombard (M.),

la route de la Meuse et les relations lointaines des pays mosans entre le VIIIe et le XIe siècle, Paris, 1953.

- Luttwak (E.),

the Grand strategy of the byzantine empire, England, 2009.

- Luzzatto (P.),

Notice sur Hasdai ibn – Schaprout, Paris, 1902.

- Madgearu (A.),

-the place of Crimea and of the kerch strait in the strategy of the middle byzantine empire (7-11th centuries), pp. 193- 208, in "I. M. N" v. 5, Roma, 2006.

-the byzantine expansion in the Black Sea area, pp. 22- 31, in" R. M. H.", 2008.

-the Pecheneges in the byzantine army, art. pp 207- 218, in" the steppe lands and the world beyond them", Studies in honor of Victor Spinei, ed. F. Curta & B. Malon, Romania, 2013.

- Magnusson (M.) and others,

the Vikings, U. K, 2006.

- Makarov (N.),

Rural settlements and trade network in northern Russia, AD 900 – 1250, art. in book" Byzantine trade, 4 – 12th centuries, ed. M. Mango, U. S. A, & U. K, 2009.

- Malowist (M.),

the Baltic and the black sea in medieval trade, art. pp. 36 -42, in "B. S. C.", vol. 3, No. 1 (5), Jan. 1937.

- Marten (J.),

-Trasure of the land of darkness, the fur trade and its significance for medieval Russia, Cambridge, 1986.

-Coins , Commerce and the Conceptualization of Kievan Rus, art. pp. 161 – 172, in Book: " Pre- modern Russia and its world, Essays in honor of Thomas S. Noonan, ed. K. L. Reyerson and others, Germany, 2006.

- Matoshko (A.) and others,

The fluvial archive of the Middle and Lower Dnieper, art. pp. 339-355 , in " N. J. G/G. M), vol. 81 (3-4), 2002.

- Mavor (J.), An economic history of Russia, Edinburgh, 1914, vol. 1.
- Morrisson (C.) & Cheynet (J.-C.),

Prices and Wages in the byzantine world, art. pp. 815 – 878, in "the Economic history of Byzantium from the 7th through the 15th centuries , ed. A. E. Laiou , "D. O. R. L. C.", vol. 1, U. S. A., 2002.

- Neveux,

L'Aventure des Normands VIII- XIIIe Siècle, Paris, 2006.

- Noonan (T.),

-Fluctuations in Islamic trade with eastern Europe during the viking age, art. pp. 237-259, in: "H. U. S. " vol. 16, no. 3/4, (Dec. 1992).

-The Vikings in the east: Coins and Commerce, art. pp. **215 – 236**, in book:" Developments around the Baltic and the North Sea in the viking age", Birka Studies 3, ed. B. Ambrosiani & H. Clarke, Stockholm, **1994**.

-the Khazar economy, art. in "A. E. M.", vol. 9**, 1995- 1997.**

-The impact of the islamic trade upon urbanization in the Rus' lands : the tenth and early eleventh centuries, France, 2000.

-European Russia 500 – 1050 C., art. pp. **487 – 513**, "N. C. M. H.", vol. 3.

-The Economy of the Khazar Khaganate, pp. 207- 244, in"" W. K. S. P. J. I. K. C.", ed. P. B. Golden & others, Brill, 2007.

- Noonan (T.) & Kovalev (R.),

the Furry 40s: Packaging pelts in medieval northern Europe, art. pp. **653 – 682**, in Book of " States, Societies, Cultures: East and west, essays in honor of J. Pelenski, N.Y, 2004.

- Ostrogorsky (G.), Hist. de l`état byzantin, tr. par F. J. Gouillard, Paris, 1969.
- Ostrowski (D.),

Systems of succession in Rus` and steppe societies, pp. **29- 58**, in "R.", vol. **11, 2012**.

- Petrukhin(V.),

Khazaria and Rus': An examination of their historical, pp. 245- 268, in"W. K. S. P. J. I. K. C.".

- Pritask (O.),

the Khazar kingdoms conversion to Judaism, art. in "H. U. S.", vol. 2, No. 3, Sept. **1978**.

- Renaud (J.), La mer et les bateaux dans les Sagas, H. M. V. E. O.
- Ridel (E.),

Bateaux de type Scandinave en Normandie (X- XIII Siècle), H. M. V. E. O.

- Rona-tas (A.),

The Khazars and the Magyars, pp. **269- 278**, in" W. K. S. P. J. I. K. C.".

- Shepard (J.),

- the Khazars formal adoption of Judaism and Byzantium`s policy, art. in "O. S. P.", vol. 31, Oxf. **1998**.

-Byzantine relations with the outside world in the 9th century , in book "Byzantium in the 9th century : dead or alive" ed. L. Brubaker, U. K., **1998**.

- Closer encounters with the byzantine world: the Rus at the Straits of Kerch, art. pp. **15 – 78**, in" Pre- modern Russia and its world, Essays in honor of T. S. Noonan, ed. K. L. Reyerson & others, Germ., **2006**.

- Sorlin (I.),

-les traités des Byzance avec la Russie aux Xe Siècle (1), art. pp. 313 – 360, dans "C. M. R. S.", vol. 2, n. 3, Juill. Sept. 1961.

-les traités des Byzance avec la Russie aux Xe Siècle (2), art. pp. **447 – 475**, dans "C. M. R. S.", vol. 2, n. 4, Oct. Déc. **1961**.

-Le témoignage de Constantin VII Porphyrogénète sur l'état ethnique et politique de la Russie au début du Xe siècle, pp. **147-188,** "C. M. R. S", vol. 6, n°2, Avril-juin **1965**.

- Szyszman (S.),

les Khazars. Problems et controversies, art. pp. **174- 221**, in :"R. H. R.", t. **152**, n. 2, **1952**.

- Spinei (V.),

The Romanians and the Turkic Nomads North of the Danube Delta from the Tenth to the Mid-Thirteenth Century. East Central and Eastern Europe in the Middle Ages, **450-1450**, Leiden, **2009**.

- Tabariès de Grandsaignes,

Deux barques monoxyles anciennes peu connues, "B. S. P. F.", t. **6**, No. 9, **1909**.

- Thomas Rossby (H.),

Ocean Eddies in the **1539** Carta Marina by Olaus Magnus, art. in " O. G.", vol. **16**, n. 4, **2003**.

- Thulin (A.), the third tribe of the Rus, art., in" S. A.", vol. 25, **1978**.
- Tikhomirov (M.), the towns of ancient Rus, Moscow, **1959**.
- Tolochko (O.),

the Primary chronicle`s ethnography revisited: Salvs and varangians in the middle Dnieper region and the origin of the Rus state, pp. 169– 188, in Book " Franks, Northmen, and Salvs: Identities and state formation in early medieval Europe, Ed. I. Garipzanov & others, Belgium, **2008**.

- Vasiliev (A.), the Goths in Crimea, U. S. A, 1936.
- –-the Russian attack on Constantinople in 860, Cambridge, **1946**.
- –-the Second Russian attack against Constantinople, D. O. P, vol. **6, 1951.**
- Vernadsky (G.), Kievan Russia, U. S. A, 1959.
- Watts (S.),

From raiders to trader: the Viking – Arabe trad exchange, art. in "S.S.", vol. 4 , (2), 2015.

- Zhikov (B.),

Khazaria in the 9th and 10th centuries, En. Trans. D. Manova, Leiden & Boston, 2015.

- Zuckerman (C.),

the End of byzantine rule in north- eastern Pontus, art. pp. 311- 336, in:" M.I. A. E.", v. 22, Ukraine , 2017.

الاختصارات:

A. E. S. C. = ***Annales, Economies, Sociétés, Civilization.***
A. E. M.= ***Archivum Eurasiae Mediaevi.***
A. H. R = ***The American Historical Review***
B. S. C. = ***Baltic and Scandinavian Countries.***
B. M. = ***Bulgaria Mediavalis .***
B. = ***Byzantion.***
B. Z. = ***Byzantinische Zeitschrift***
B. M. G. S. = ***Byzantine and Modern Greek Studies.***
C. M. R. S = ***Cahiers du Monde Russe et Soviétique.***
C. H. R. = ***the Cambridge History of Russia.***
C. R. S. A. I. B. L. = ***Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.***
D. O. P. = ***Dumbarton Oaks Papers***
D. O. R.L. C. = ***Dumbarton Oaks Research Library and Collection.***
E. W. T = ***Encyclopedia of World Trade.***
H. M. V. E. O. = ***Héritage Maritime des Vikings en Europe de l` Ouest, un coloque, Publication de l` Université de CAEN, 2002.***
H. U. S = ***Harvard Ukranian Studies.***
I. M. N.= ***Il Mar Nero.***

I. S. C. = *the International Slavic Conference.*
J. P. E. = *Journal of Political Economy.*
M. I. A. E. = *Materaly Po Istorii, Arheologii i etnografii.*
N. J. G/ G. M. = *Netherland Journal of Geosciences/ Geologie en Mijnbouw.*
N. C. M. H = *New Cambridge Medieval History*
O. S. P. = *Oxford Slavonic Papers.*
R. T. I. E. B = *Recuiel des Travaux de l`institute d`Etudes Byzantines.*
R. E. S. = *Revue des Etudes Slaves.*
R. H. R. = *Revue de l`Histoire des Religions.*
R. M. H = *Review of Military History.*
R. P. C. = *the Russian Primary Chronicle.*
S. A. = *Slavina Antiqua.*
R. = *Ruthenica*
R. R. = *the Russian Review.*
S. S. = *Saber and Scroll.*
W. K. S. P. J. I. K. C = *The World of the Khazars: New Perspectives Selected Papers from the Jerusalem 1999, International Khazar Colloquium*